منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2504) السنة التاسعة - الاربعاء (6) حزيران 2012

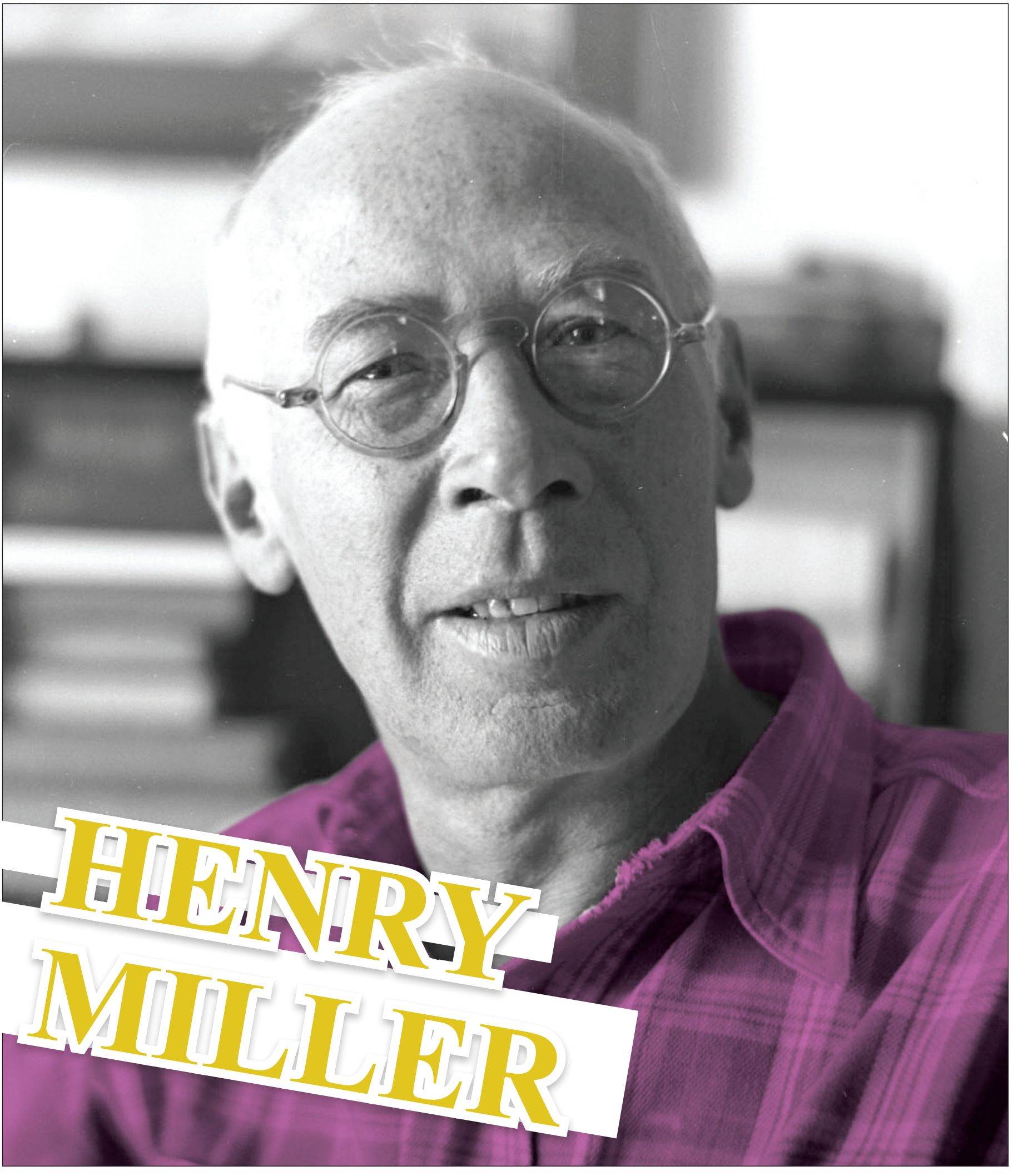

HENRY MILLER

هوامش على "أرق أو حماقات الشيخوخة الجميلة" لهنري ميلر

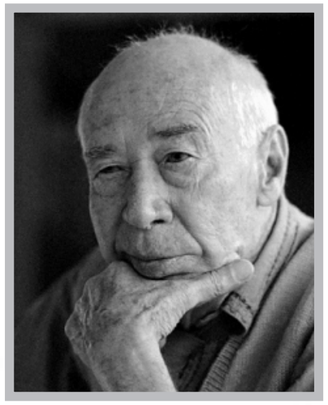

صالح كاظم
كاتب عراقي مقيم في لندن

حين يعالج كاتب إيروسي مثل هنري ميلر(١٨٩١-١٩٨٠) موضوعة الشيخوخة، فلابد أن يضع هذا الموضوع في إطار إيروسي يعيدنا –بشكل ما– الى الأجواء التي ميزت كافة أعماله ذات الطابع السيروي الذاتي مثل: "مدار السرطان" ومدار الجدي" و لاحقا في ثلاثية: "سيكسوس"، "نيكسوس"، "بليكسوس"، والتي يشكل الجنس والعلاقة بين الرجل والمرأة محورها الأساسي. في كتابه "أرق أو حماقات الشيخوخة الجميلة" –وفق الترجمة الألمانية التي جاءت بالإتفاق مع الكاتب مخالفة لعنوانه الأصلي Insomnia or the Devil at Large يعود الكاتب الى موضوعه المفضل باحثا عن سحر العلاقة الإيروسية التي تربط الرجل بالمرأة، متوجسا ومن منظور شيخ بلغ الخامسة والسبعين من عمره ليقع في حب مغنية بار يابانية لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين، وهي الواقعة التي تركت بصماتها على حياة هنري ميلر في مراحلها الأخيرة، حتى موته في العام ١٩٨٠. هذا النص الذي يرفض الإنتماء الى "جنس أدبي" معين، هو كما يصفه الكاتب "محاولة للتحرر من الأرق" أي تجاوز ما يسببه العشق للعاشق من إشكالات يصعب تجاوزها مع تقادم العمر، إذا أخذنا بنظر الإعتبار أن المعشوقة التي يتحدث عنها يمكن أن تكون في عمر "حفيدته". وهو عبارة عن مزيج من الإستطرادات الفلسفية والسيكولوجية حول الشيخوخة والجنس أراد لها الكاتب أن تنشر بخط يده، مرفقة بتصميمات له، يعتبرها جزءا من متن العمل، مؤكدا إنه لا يريد أن يعتبرها رسوما، إذ أنها تحتوي كذلك "على كلمات مكتوبة وشعوذات ولغو تعبر عن المشاعر المختلفة التي تأتيك في الساعة الثالثة صباحا." وفي الحقيقة فأن ما يتحدث عنه ملر هنا هو محور النص الذي يتميز بخصوصية كبيرة، ربما بسبب التمرد الدائم لدى الكاتب ضد الحدود الداخلية والخارجية وميله للسخرية، وبشكل خاص تلك التي تتجه الى الذات: "في الساعة الثالثة صباحا، حين تكون عاشقا بشكل جنوني، وفي ذات الوقت يمنعك الإعتداد بالنفس من رفع سماعة التلفون للإتصال بها، ربما لخوفك ألا تكون هناك، تجد نفسك مرغما على أن توجه عدوانك ضد ذاتك لتخزها كما تفعل العقرب، أو تكتب لها رسائل لن ترسلها بالبريد، أو تدور في الغرفة، لاعنا ومتوسلا، تتناول الخمر أو تفكر بالإنتحار.."

تضعنا إستطرادات كهذه أمام العديد من الأسئلة التي تتعلق بسيكولوجيا الشيخوخة والرغبة في التجدد، البحث عن النقاء في إستجداء الحب ممن لا يمكن أسره في حدود علاقة غير متوازنة. غير أن ما يفعله ملر هو أكثر من ذلك، إذ أنه يضع نفسه تحت سكين الجراح، ليتطلع في داخله ساخرا مما آل اليه هذا الشيخ العجوز الذي قضى جل عمره باحثا في الدروب السرية للرغبة والتواصل. وها هو ذا الآن يسعى لتعلم اللغة اليابانية بكل مطباتها، ثم يعود لسماع أغان لم يكن يحلم أن يستمع لها يوما، إذ كان ينظر إليها بإستعلاء سابقا، ويكتب لحبيبته رسائل بالبريد المسجل لا يبعثها اليها: "ربما ستصلها واحدة منها بعد أن أدفن تحت الأرض."

وفي موقع آخر يقول ساخرا: "الحب لا يرجو ولا يطالب." (هيرمان هيسه)(ما تبقى من هذه الجملة سأذكره لاحقا. فقد كتبتها على الجدار، لكي لا أنساها)"

ويواصل بلهجة تمتزج فيها السخرية بالمرارة والحيف: "ها نحن أمام هذا الرجل المشهور –كما يقال– (٧٥ عاما لا أقل)، يلاحق وهما شابا. العجوز في أوج الرومانسية، والفتاة الشابة في أوج الخجل، إذ يجب عليها أن تكون خجولة، فمهنتها هي أن تجعل الرجال يغرمون بها، لتدفعهم لاحقا لشراء المجوهرات والملابس الغالية الثمن.."

مع كل هذا تبقى مشاعر ملر التي تشوبها أحيانا الميلانخوليا في أقصى درجات النقاء، فمشاعر الحب التي يكنها لهذه الصبية تغمر كيانه كله وتحفزه على تجاوز الحدود دون أن يقع في كمين الخوف من الخروج على المحرمات – التي لم يكترث لها طوال حياته–. وهو في كل ذلك يصطدم بهذا اللغز الذي أسمه المرأة: "يبدو إنها "كتاب مفتوح" للجميع ما عداي. فهي بالنسبة لي لغز. ولمعرفتي بنفسي فقد حاولت أن أرد السبب في ذلك الى موقفي تجاه النساء."

وبدلا من الإنغمار في وهج الأيروسية كما في كتاباته الأولى، نجد ملر هنا يدخل ضمن كينونة ضبابية، رومانسية على الأغلب، حتى ليبدو لنا مسحورا بالظاهرة بحد ذاتها: عجوز يعشق صبية جاءت من عوالم غريبة لتشده إليها، وتسحره لدرجة الإستسلام لكل ما يحيط بها من مظاهر الغرابة. وربما هذا هو ما يمنح النص درجة عالية من الشاعرية والكثافة، إضافة الى العمق الوجودي الفلسفي الذي يضفي على أعمال هنري ميلر طابعا متفردا ومتميزا. في رحلة العشق المتأخرة هذه يقودنا ميلر الى العديد من الإشارات الفكرية والهوامش التي تكشف لنا بالتدريج ملامح اللعبة الفنية بكل عناصرها ووفق الخطاب الإيروسي الذي بقي مخلصا له حتى موته. وهكذا نجده يستشهد بـ "وليام بليك" (١٧٥٧-١٨٢٧) لكشف قوة جاذبية التمرد لدى الفرد في مواجهة التسليم بالأمر الواقع: "النمر الغاضب هو أكثر حكمة من الحصان المدجن."

النمر الغاضب في هذه الحالة ينتهك حرمات الشيخوخة ومخاوفها ليرتشق معاني الصبى مثل مراهق يكتشف للمرة الأولى عوالم العشق. في كل هذا يجد الكاتب نفسه مرة بعد أخرى في دائرة التحدي الأزلي للقدر الذي هو ضمن خطابه هذا "الشيخوخة" التي لا يريد أن يقر بها قيدا يحرمه من التواصل مع ماهو "جميل" و"نقي" بكل ما يحيط به من مخاطر السقوط في المجهول.

تحتوي الطبعة الألمانية الصادرة عن دار نشر رورورو، إضافة الى الترجمة الألمانية كذلك على صورة مستنسخة عن النص الأصلي كما كتبه هنري ملر بخط اليد، وكذلك على التخطيطات العديدة المرتبطة بالنص الذي قال عنه لورنس دوريل: ""الأرق" عمل ساحر، ويمكن أن أعتبره من ضمن أفضل أعمال ميلر وأكثرها حيوية وعفوية. وهو عبارة عن كنز ثمين حول قلب فقد صبره وحول الرقة وإبتسامة الشيخوخة.

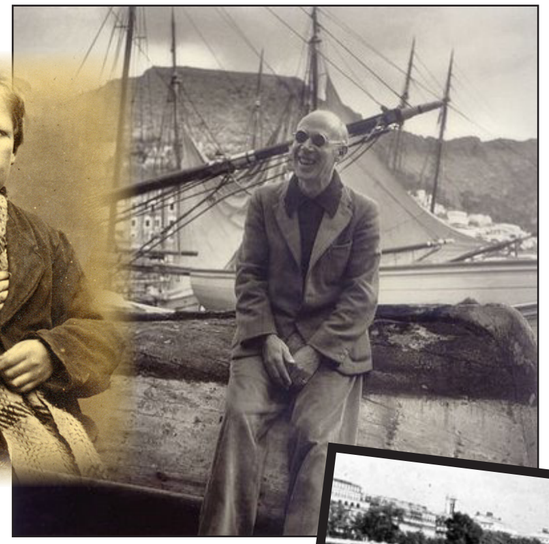

في طفولته

والده هنري ويليام ووالدته إميرا بوند ميللر

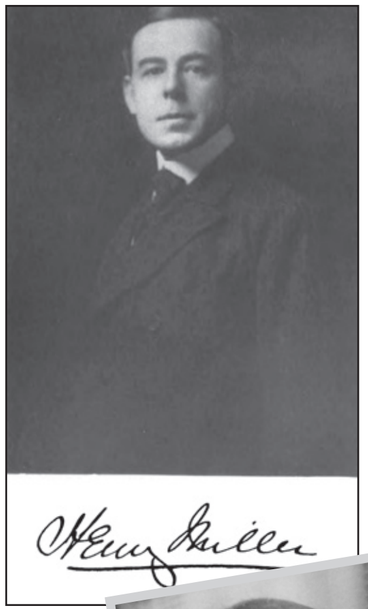

في شبابه

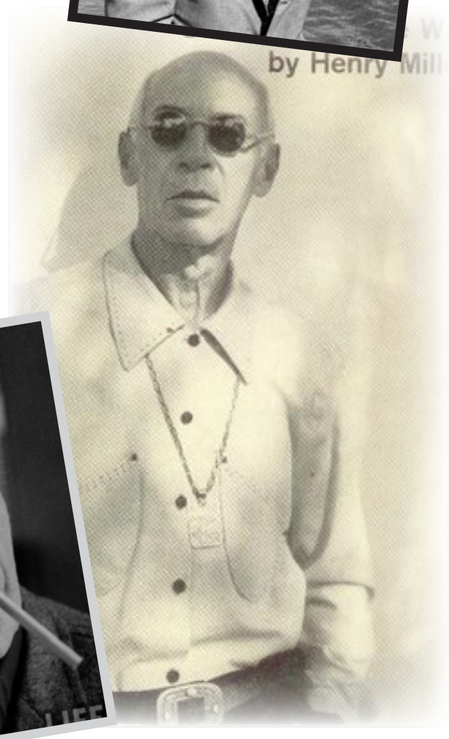

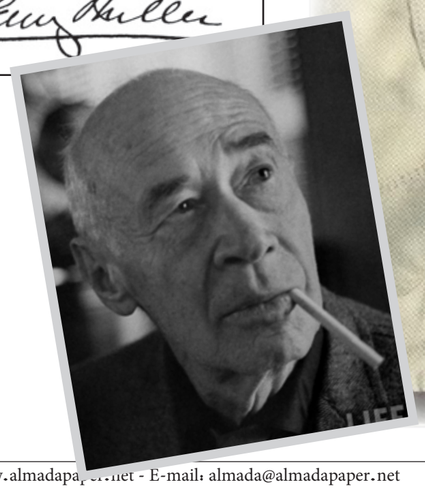

في الدفاع عن حرية القراءة

بقلم: هنري ميللر

ترجمة واعداد عدنان المبارك

السابع و العشرون من شباط ١٩٥٩ ×
السيّد تيريفي هيرش
Terygve Hirsch
أوسلو، النرويج
السيد هيرش المحترم!

هذا جوابي على رسالتك من التاسع عشر من كانون الثاني مع الرجاء بتقديمها كبيان لي يكون تحت تصرف المحكمة العليا في أثناء المحاكمة التي ستبدأ في آذار أو نيسان من العام الجاري... ومن الصعب الحصول على شهادة أكثر وضوحا من تلك التي قدّمتها في الرسالة من التاسع عشر من أيلول عام ١٩٥٧ عندما نظرت إحدى محاكم أوسلو، في القضية الموجهة ضد كتابي (Sexus)، رغم ذلك أقدّم لك بضع ملاحظات حول هذا الموضوع. و أمل أن تكون بالمناسبة a propos.

عندما قرأت قرار محكمة مدينة أوسلو و الذي كنت يا سيدي قدبعثته إليّ قبل بضعة أشهر إنتابتني مشاعر متضاربة. إذ لايمكن إعتباري مذنبا بأنني عند مطالعة مثل هذا النص أغرقت بالضحك – جزئيا بسبب تلك الترجمة الركيكة وكذلك بسبب طبيعة و عدد التجاوزات المذكورة هناك. و إذا كنت أقبل و اقع أن العالم و الناس الذين يشرّعون القانون و ينفّذونه هم هكذا فأنا أعتبر أن القرار كان صحيحا وعادلا لدرجة أقل من أيّ فرضية لأقليديس. فقد لاحظت و حاولت أن أقدّر مسألة أن المحكمة جهدت في تجاوز النص الجاف للقانون. (ولقلت إن ذلك مهمة لايمكن تحقيقها إذا قبلنا و اقع أن القوانين هي للناس و ليس الناس للقوانين فحينها سيكون حقيقيا القول بأنه يوجد أناس قد خلقوا من أجل القانون وهم يرون كل شيء من خلاله).

أعترف بأنه لم تحدث في نفسي أيّ أثر كبير تلك الآراء الثقيلة و المفخّمة في الغالب و المليئة بالرياء، والتي يعبّر عنها الضليعون بالمعرفة وجهابذة القلم و علماء النفس و الأطباء وماشاكلهم. و في الأخير هل هناك غرابة في الأمر طالما أن سهامي تصيب بالضبط، وفي الغالب، مثل هذه النماذج البشرية السطحية و المحرومة من حسّ الفكاهة؟

عندما قرأت اليوم مرة أخرى هذه الوثيقة الدسمة أدركت بصورة أكثر وضوحا لامعقوليةَ هذا الإجراء بكامله. (يالها من سعادة بأنهم لم يوجهوا إليّ تهمة (ا لشذوذ) و (الجنوح) بل مجرد تهمة قيامي بتحويل الجنس الى شيء ممتع و بريء!) و غالبما يتكرر السؤال: لماذا ألحقت بالنص هذه المشاهد الإيروسية غير المبّرة و التي تتضارب الآراء حولها، بينما كان لديّ الكثير لتقديمه؟. و لكي يجيء الجواب صحيحا ينبغي العودة الى الأصل – سواء بمساعدة المداوي أو بدونها.. إن كل واحد، سواء أكان طبيبا أو قسّا أو محاميا أو قاضيا، سيملك جوابه الخاص و الجاهز عادة. ولكن أيّ واحد منها سوف لن يكون جريئالحد كاف و عميقا و مسهبا. و الجواب الرباني يبدو بالتأكيد هكذا: في البدء أخرج الطفل المرعب enfant terrible الذي (ومن المخجل القول) كتب، Tropics The Rosy Crucifixion، The World of Sex و Quiet Days in Clichy؟وهل غيّر إيمانه يا ترى؟ و لربما أصابه الخرف في هذا السن؟

و من الملائم جدا أن يجيء هذا السؤال: هل مؤلف هذه الأعمال المثيرة للريبة و أحدهم المسمّى هنري ميللر هما الشخص نفسه؟ و جوابي هو كالآتي: نعم! إضافة الى ذلك فأنا المكافح من أجل هذه (الروايات الغرامية للسيرة الذاتية).وقد يصعب على بعضهم قبول هذا الأمر. و لكن لماذا؟ هل السبب في أنني قد عرّيت (بلا خجل) كل قطعة من حياتي؟ وربما لست أول مؤلف يقوم بالإعتراف و يعرّي حياته أو يستخدم كلمات غير مناسبة، وكما يزعم، لسمع الفتيات؟ ولو كنت قديسا يروي عن حياته الخاطئة السابقة لكان ممكنا إعتبار إعترافاتي الصادقة عن عاداتي الجنسية ذات قيمة وخاصة لدى القساوسة و الأطباء. و قد تعتبر تثقيفية.

لكني لست قديسا و أكيد أنني سوف لن أكونه. و في هذه اللحظة التي أكتب فيها هذه الكلمات تذكرت بأنه قد إعتبرت قديسا و فعل ذلك أشخاص لما شككت المحكمة العليا بحملهم مثل هذه الآراء. كلا، والحمد لله، لست قديسا و لا أدعو الى نظام جديد أيضا. أنا ببساطة إنسان ولد لكي يكتب و إعتبر موضوعه هو تاريخ حياته. أنا من أكد بقوة في كتبه على أنه عاش حياة طيبة مكتنزة، مرحية، رغم تقلبات الحظ، رغم شتى المصاعب و الحواجز (الكثير منها القشّة من عينك!

ولو كنت جالسا هناك على مقعد المحلفين لأصدرت حكمي: "مذنب! يتحمل ذنب كل التجاوزات السبعة و التسعين! وبئس المصير!". و عندما أنظر الى ذلك عن قرب كإنسان يعاني من قصر النظر، أجزم بأنني مذنب وقبل أن أؤلف هذا الكتاب. أنا مذنب و لأنني هكذا. وهي معجزة بأنني ما زلت أتمتع بالحرية. فمن المفروض أن يصدر الحكم ضدي في اللحظة التي خرجت فيها من بطن أمي.

إنه شيء مثير للعواطف وصف عودتي الى أحضان العائلة و الذي جاء في كتابي (إتحاد من جديد في بروكلين Reunion in Brooklyn)، وكنت قد أنهيته بهذه الكلمات التي تملك كل واحدة منها بالنسبة لي معنى عميقا: (إن بيتي هو العالم كله. أنا أسكن على الأرض وليس فقط في جزء منها يسمى أميركا، فرنسا، ألمانيا، روسيا... أن تكون مخلصا – نعم، ولكن للبشرية و ليس لبلد معيّن أو جنس أو شعب. أنا مسؤول أمام الرب وليس أمام السلطة. أنا هنا، على الأرض من أجل أن أحقق مصيري. وهو مصير يرتبط بجميع الكائنات القاطنة على هذا الكوكب – و من يعلم، ربما تلك التي تحيا على السيّارات الأخرى؟ ليس في نيتي العمل خلافا لمصيري و النظر الى الحياة وفق مراتب مبادىء ضيقة خلقت لكي تقيّد الحياة. أنا لا أقبل الآراء الملزمة اليوم حول الجرائم و الأديان و المجتمع و الرفاهية. سأجهد في العيش وفق تصوراتي الخاصة عن كل ما هو أبدي، إذن (السلام عليكم). و إذا لم تعثروا عليه فهذا يعني أنكم لم تبحثوا عنه أبدا.

بإعتقادي أنها ستكون مثيرة للإهتمام وغيرمحرومة من المعنى في هذا المكان إشارتي الى رد فعلي على قراءة هوميروس في الأونة الأخيرة. نزولا عند رجاء الناشر غاليمار Gallimard كتبت مقدمة قصيرة للأوديسا في طبعة جديدة. قبلها لم أقرأ الأوديسا أبدا. بل قرأت الإليـاذة وحدها وحصل هذا قبل بضعة أشهر. أريد القول هنا إنه ولو أنني قد أنتظرت٦٧ عاما كي أقرأ مثل هذه الكلاسيات المعتبرة وجدت هناك الكثير من الأشياء التي يجدر أن تعتبر مأخذا عليها، كذلك فعددها في الإليادة (وأسميها بالمناسبة "دليل الجزّار " هو أكبر من عددها في الأوديسة. و لكن لم يخطر ببالي أبدا أن أطالب بمنعهما أو حرقهما. بعد قراءتهما لم أخش من أنني سأقفز من البيت و الزبد يغطي فمي و الفأس في يدي. إبني الذي قرأ الإليـاذة (وهناك طبعة خاصة للأطفال) بعمر يقارب التاسعة، و إعترف بأنه (من وقت الى آخر يحب حالات القتل) قال لي إن هوميروس يضجره ومعه كل هذا القتل و السخافات عن الآلهة. أنا لم أخش أبدا من أن إبني الذي يكاد يبلغ الحادية عشرة و لايزال يلتهم،بشراهة، هذه القصص المصوّرة الكريهة، هو مغرم بوولت ديزني(وهو لا يلائمني أبدا) و أفلام ال(ويسترن) خاصة – أقول لم أخش أادا من أنه سيكون قاتلا (وحتى لو إستدعوه الى خدمة الجيش). بالأحرى أنا أفضل لو شغلته إهتمامات أخرى، وهنا أنا أفعل ما بمقدوري لترغيبه. و لكنه مثلنا جميعا نتاج العصر. وبالتأكيد ليس عليّ أن أدلل على الأخطار التي تترصد في الأوقات الراهنة بنا جميعا وخاصة الشباب. و جوهر المسألة أن الخطر يتبدل بالإعتماد على العصر. فقد يكونه الأشباح، عبادة الأصنام، الجذام، السرطان، الشيزوفرينيا وأيّ شيء آخر، فعراكنا لانهاية له. ومن النادر حقا أن نفلح في قهر العدو الذي ينقصص هيئات أكثر فأكثر جدة. وفي أحسن الأحوال نحن نملك مقاومة. و لكن لانعرف أبدا أيّ أخطار تتربص بنا في أقرب منعطف. كما أننا لا نقدر على تجنبها. وحتى لو كنا نملك معرفة بالغة العظم وحكمة و يقظة و حذرا كبيرا فنحن لسنا بقادرين على التخلص من كعبنا الأخيلي. فالأمن ليس مملكتنا. و الإستعداد و اليقظة و الرد السريع هي كل عدّتنا في الدفاع أمام ضربات المصير.

أنا أبتسم عندما أقدم للمحكمة المؤقرة هذه الرسالة، إلا أنني أملك رغبة كبيرة في أن مسك، وكما يقال، الثور من قرنيه. و هل يكفي المحكمة المبجّلة بياني بأن الرأي العام يرائي شخصا طبيعيا وذا عقل و جسم سليمين؟ و أن لا أحد يعتبرني مهووسا إيروسيا أو شاذا و لا حتى عصابيا و لا كاتبا مستعدا لأن يبيع روحه مقابل النقود؟ و أنه كزوج و أب و جار يعتبَر (فخرا) لمحيطه؟ إن كل هذا يبدو أمرا غير معقول، أليس كذلك؟ و هو ممكن هذا السؤال: أليس هو ذاك الراهنة، ألايتصرف الناس بهذه الصورة (الخسيسة) أو ليست هذه الأفعال مجرد نتاجات عقل (مريض)؟ (هل يقال عن مؤلفين من أمثال بيترينيوس، رابيليه، روسو، ساد بأنهم عقول (مريضة)؟) أكيد أن بعضهم ممن يأخذون بمثل هذا الأسلوب القائم على الإرتياب أو حتى أنهم يقومون بأفعال أسوء، و أنا كإنسان خبر الناس و العالم أعرف جيدا أن لباس القس و رجل القانون أو البروفسور ليس بالدفاع الكافي أمام إغراءات الجسد. إن مصيرنا واحد – نحن جميعا مذنبون أو أبرياء، والأمر يعتمد كيف ننظر الى ذلك: أمن ذرى الأولمب أم من على مستوى نظر الضفدعة؟. وهذه المرة لن أجهد في تقدير وتحديد الذنب و إصدار الحكم، مثلا هل المجرم هو أقل أو أكثر ذنبا من المنافق. و ليس سبب وجود الجرائم و الحروب و الثورات و الحملات الصليبية و محاكم التفتيش و الإضطهادات و أحوال التعصب هو أن بعضنا شرير و سافل أو يملك أفكارا دموية. إن هذه الحالة المرضية للعلاقات البشرية قائمة ولأن لا أحد منا، لا العادلون و لا الجهلة و الخبثاء، يعرف ما هو التفهم الحقيقي وما هو التعاطف الحقيقي و المعرفة الحقيقة و فهم طبيعة الإنسان.

وإذا أردت الكلام بأكبر إيجاز و ببساطة تكون فلسفتي الحياتية أو بعبارة أخرى: صلاتي، كالآتي: (لنكف عن أن يغدر أحدنا بالآخر، لنكف عن إصدار الأحكام و الإدانات، ولنكف عن أن يقتل أحدنا الآخر.). أنا لا أتوسل إليكم كي تكفوا عن الحكم علي وعلى كتبي. فلا أنا ولا ما كتبته بالمهم في هذه الدرجة.(هناك واحد آت و آخر راحل). وسبب همومي هو الضرر الذي تلحقونه بأنفسكم عندما تحصون بدون توقف مسألة الذنب و العقاب و و التجريم و المنع و هذا التبييض المستمر و الإدراج في القائمة السوداء، و التغاضي المريح عن الخروقات عندما تفتقد السبل الأخرى للبحث عن أكباش الفداء. إذن أسأل بدون موارية: هل قيامكم بمثل هذا الدور الدال على ضيق الافق يسمح لكم بأن تأخذوا الأحسن من الحياة؟ ومتى ستدرجونني وكتبي في (السجل) وهل ستتذوقون أحسن، الطعام والنبيذ وهل ستنامون مطمئنين وهل ستكونون أفضل من السابق كناس و أزواج و آباء؟ ليس بالمهم ما ستفعولونه بي بل ما سيحصل لكم.

أنا أعرف بأن قفص المتهم ليس مكانا لتوجيه الأسئلة بل لتقديم الأجوبة. و تحملته لوحدي)، و الكثير من العقبات التي نشأت بسبب اللوائح و العادات الغبية. و أمل أنني قلت بكل وضوح شيئا أكثر من ذلك إذ ما لدي لقوله عن حياتي يخص الحياة كحياة، ولأكثر من مرة أردت، بكل ثمن، القول بالصورة الأكثر وضوحا، إن الحياةكما أراها هي شيء طيب وبغض النظر عن كل شيء، و بإعتقادي أننا بإنفسنا نجعلها لا تطاق، وليس الآلهة أو الحظ أو الظروف.

وعندما أقول هذا الكلام تخطر ببالي تلك النتف من قرار المحكمة و التي تشكك بصراحتي وكذلك بقدرتي على التفكير المنطقي. إن هذه النتف تفيد ضمنيا بأنها في فوراتها (الميتافيزيقية و السوريالية) تسعى عامدة الى (غير المفهوم و الخيلاء). وأنا أدرك جيدا أن مثل هذه الحالات من (الزيغان) تثير في أذهان قرائي آراء شتى. وكيف عليّ أن أصدّ إتهامات شبيهة بهذه طالما تخص جوهر كتابتي ذاته؟ هل عليّ القول:(ما هذا الهراء الذي تطلقونه)؟ وهل علي الإستناد الى السماء الكبيرة – (المرجعيات)– كي أصد مثل هذه الاحكام؟ وقد يكون من السهل القول: نعم، وكما فعلت قبلها: (أنا مذنب. مذنب كما تقول جميع التهم،إيتها المحكمة الموقرة!).

أرجو أن تصدقوني بأنها ليست محض الاعيب تدفعني الى المزاح عندما أقول كلمة (مذنب). طالما أنني أنتمي الى الناس الذين يؤمنون بصدق وعمق بما يقولونه و يفعلونه وحتى إذا كانوا على خطأ، أليس من المفروض علي الإعتراف بـ(الذنب) و ليس أن أجهد في الدفاع عن النفس أمام الذين يتشدقون بتلك الكلمات؟ و لنكن صريحين. هل هؤلاء الذين يصدرون الأحكام عليّ و يدينونني– و ليس بالضرورة في أوسلو بل في العالم كله – يعتبرونني، حقا، مذنبا و (عدوا للمجتمع) كما نعتوني أكثر مرة؟ أيّ شيء يقلقهم الى هذه الدرجة؟ هل هو الحقيقة التي قمت بوصفها، حقيقة وجود و شيوع السلوك اللاأخلاقي و اللاإجتماعي أم مظاهر مثل هذا السلوك والتي قد يلقاها المرء في الكتب؟ واليوم،في هذه الحقبة

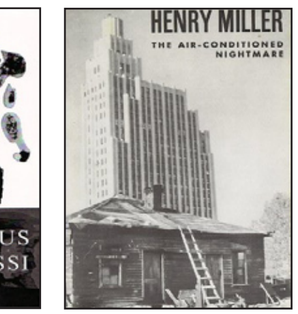

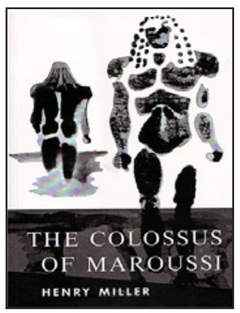

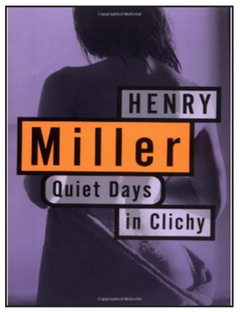

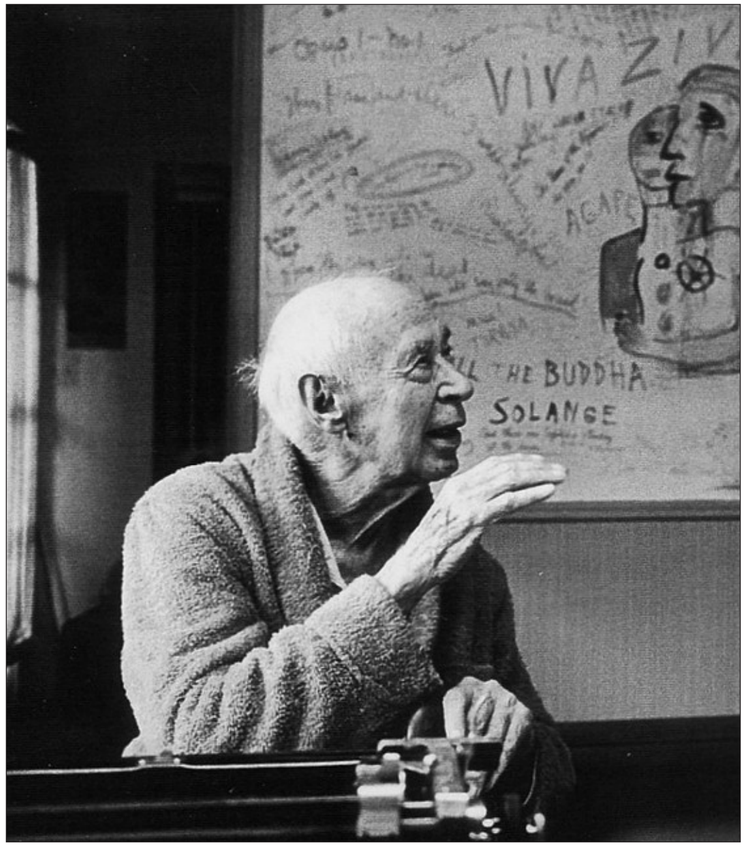

لكنني لا أعرف كيف أعتبر نفسي مذنبا. فأنا (آخر) ببساطة. ولكنني، كما لو كنت قائلا، باق في التقاليد. و قائمة من سبقوني تسلب الألباب حقا. وهذه العملية مستمرة منذ زمن بروميثيوس أو حتى أنها أطول – منذ زمن الملاك جبرائيل. ولغاية زمن ليس بالبعيد عاش و احد من أصحاب العقول الأكثر صحوا ووعيا من بين السائرين على الأرض. ونحن الذين هم عرضة للهجوم في المحاكم يكون اكبر ما نقدر على القيام به هو اللجوء الى طريقة سقراط ذات الصيت. وجوابنا الوحيد هو أن نقلب السؤال.

هذه هي كل الأسئلة التي يمكن توجيهها الى المحكمة. ولكن هل السائل سيحصل على الجواب؟ وهل يمكن عموما وضع علامة السؤال على معنى وجود المحكمة العليا؟ أخشى أن الجواب هو النفي. فالجسد القانوني هو جسد مقدس. وهي مصادفة غير موفقة، فبإعتقادي من المفروض أن يكون الرأي العام في القضايا ذات الأهمية الكبيرة آخر مرتبة من القضاء. وعندما تكون فكرة العدالة عرضة للتهديد لايمكن إلقاء كامل المسؤولية على عدد غير كبير من المختارين، فبهذه الصورة ينشأ الظلم،ولكي تقوم كل محكمة بوظيفتها عليها أن تمضي في سكة مطروقة للسوابق و التابو و الأحكام المسبقة.

أعود الآن الى تلك الوثيقة الدسمة التي تحوي قرار محكمة أوسلو – الى ذلك التعداد لجميع تجاوزاتي للقانون الأخلاقي المعّد هناك. في مثل هذا الإتهام هناك شيء هو مرهب و مكدّر على السواء.وهنا هبّت ريح القرون الوسطى. والأكثر من ذلك فهذه الوثيقة لاتملك أيّ صلة بالعدالة – وبهذه الصورة يحصل بالأحرى الهزء بالقانون. أود أن أؤكد هنا بأنني لا أدين المحاكم في أوسلو ولا القوانين النرويجية: في الأخير يلقى المرء في العالم المتحضر كله الكثير من الكلمات المنمّقة و البرّاقة التي تصلنا صوتا للقصور الذاتي. و الجاني لايحكم عليه من طرف أناس هم على قدم المساواة بل من قبل اسلاف موتى. و القوانين الأخلاقية القادرة على السريان بالإتفاق فقط مع قوانين الطبيعة أو الإلهية سوف لن تكون محمّية من قبل مثل هذا المتراس غير الدائم بل على العكس فالآن تبدو للعيان كم هي هشة وغير مجدية هذه السدود.

و في الأخير أصل الى لبّ المسألة. هل سيصعّب صدور حكم من هذه المحكمة لغير صالحي، وبصورة ناجعة، الوصول الى كتابي؟. إن التأريخ يعلمنا بأنه أمر غير ممكن: تشهد على ذلك حالات أخرى مشابهة. إن مثل هذا الحكم لايفعل شيئا غير صبّ الزيت في النار. والمنع يعمل فقط على التمرد.. و الكفاح ينتقل الى تحت الأرض و يزداد بإستمرار، عدد الكمائن و الصعوبات في السيطرة عليها.. ولو أن نروبجيا واحدا يؤمن مثل المؤلف بأن كل شخص ينبغي أن يملك حرية التعبير فسينتصر حينها الكفاح. و لايمكن طرد الفكرة عن طريق منحها الشهرة؟، والمقصودة هنا فكرة الحق في قراءة ما يعجب المرء. بعبارة أخرى: الحق في قراءة ما هو مضرّ وماهو طيب،إن غير المضر. إذ كيف من الممكن إتقاء الشر إذا كان المرء لا يعرفه؟

أنا لا أقترح على القارىء النرويجي في كتابي (Sexus) لا الشر و لا السمّ بل مجرد جرعة من الحياة نفسها أخذتها انا نفسي. وهي لم تصبني بالإنهيار البتة بل أفادتني. بالتأكيد لما نصحت بتقديمها للرضع وكذلك لما أعطيت الطفل مشروبا روحيا aqua vitae. و في معرض الدفاع عنها أنا أعطي،بكل جرأة، جرعة أخرى: إنها واهبة للحياة بالمقارنة مع القنبلة النرّية.

هنري ميللر

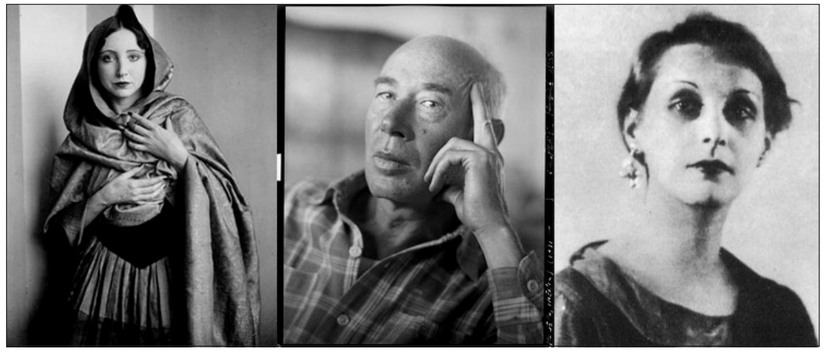

جين ميللر هنري ميللر اناييس نن

مختارات من يوميات أناييس نن:

هنري ميللر كائن أسطوري.. تموج كتابته باللهب

بقلم: لطفيّة الدليمي

يشبه هنري ميللر كائنا أسطوريا، كتابته تموج باللهب، كتابة متدفقة هيولية، مضطربة، مخادعة، خطيرة: عصرنا بحاجة إلى العنف..

أتمتع بسلطة كتابته، بقبح هذه الكتابة وجسارتها وتدفقها، هذا المزيج الغريب من عبادة الحياة،وهذه الحميّا والتلذذ الشغوف بكل شيء، الطاقة والخصب، الضحك والعواصف المدمرة التي تربكني، كل شيء يهب عاصفا: الرياء، الرعب، الإشفاق،الزيف،إنها ثقة الموهبة بنفسها..

يستخدم هنري ميللر ضمير المفرد المخاطب في أحاديثه، و الأسماء الحقيقية دونما ألقاب، ويرفض السياقات والقوالب،يرفض الرواية نفسها..

كثيرا ما كنت أؤمن بحرية"أندريه بريتون"، أن يكتب المرء كما يفكر، بنظام أو فوضى، بالطريقة نفسها التي يحس بها ويفكر، ويتبع سلطة حواسه مع افتقاد التناسب بين الأحداث والصور ومنح الثقة للأفاق الجديدة التي يقاد إليها القراء، طقوس عبادة المعجزات، وثمة طقوس قيادة اللاوعي

طقوس الأسرار، الانفلات من المنطق الزائف..

إن طقوس اللاوعي التي صرح بها رامبو، ليست طقوس الجنون إنما هي مسعى لتجاوز الجمود والقوالب،التي أوجدها العقل القويم..

كان هنري ميللر يمتلك مزيجا غريبا من هذه الأشياء كلها، وكان طبيعيا أن ينسحر بكتاب أو يخلب لبه شخص ما، أو تفتنه فكرة، إنه موسيقى وكاتب ورسام، ويلاحظ الأشياء من حوله: يلاحظ الامتلاء الفائق لقثائي النبيذ، همسيس احتراق الحطب في المدفأة، ويختار من كل شيء ما يتيح له أقصى المتع..

كنت أبحث في القواميس عن المفردات التي يستخدمها هنري في حديثه، غير أنها لم تكن موجودة هناك..

بعد مغادرته، تهاوت بهجتي، إذ فكرت أنني قد لا أكون ممتعة بالنسبة له، لقد عاش هنري كثيرا جدا، عاش حياة مضطربة،قاسية ومكتظة بالأحداث وكأنه إحدى شخصيات دوستويفسكي في الحضيض الأسفل ولسوف يجدني إنسانة عديمة التجربة.

– ما شأني بما يظنه هنري بي؟؟؟

لسوف يعرفني عاجلا كما أنا،هنري له عقلية ساخرة ولسوف أراني في هيأة كاريكاتورية؟؟

ترى لماذا يتعذر علي التعبير عن "أناي" الأساسية..؟؟؟

أنا أيضا ألعب أدواري، فلماذا أبالي إلى هذا الحد؟؟؟

كنت شديدة المبالاة بكل شيء، العاطفية المفرطة والحساسية هما رمالي المتحركة، لقد فتنت بخشونة هنري وزوجته جوين، كان الأمر جديدا علي..

كنت قد انهمكت في الحب، فما الذي يريده مني بعد؟؟

كان يريد كل شيء!!، فهو يكاد يكون صعلوكا، ينام في أي مكان، في منزل صديق، في محطة قطار أو غرفة انتظار، على مصطبة دار للسينما، أو في متنزه، وهو لا يملك ثيابا وما يرتديه ليس له..

يعيد هنري كتابة أول كتبه (الديك المجنون)، يعيش يوما بيوم، يقترض، يشحذ، يتطفل، ويتمنى أن يقرأ المجموعة الكاملة لمارسيل بروست، أرسل له الرزمة ومعها بطاقات القطار حتى يتسنى له المجيء لرؤيتي متى شاء..

لم يكن هنري يمتلك آلة كاتبة، فأعطيته طابعتي..ولأنه مولع بالوجبات الفخمة،أصبحت أطهو أطباقا باذخة فاخرة، أريد أن امنحه بيتا ودخلا وضمانا ليستطيع مواصلة الكتابة..

شباط –فبراير ١٩٣٢

وضعت في متناول يدي رسائل هنري ميللر النفيسة الهائلة: انهمارات.

كنت اشعر بالعرفان إزاء غنى شخصية هنري ميللر، وكنت أود الرد على هذا الأمر بالفيوض والتدفقات التي توازي غناه، "إنما وجدت نفسي أحتفظ بأسرار معينة كما كانت تفعل جيون..

هل كنت أشفق من السخرية؟؟

كنت أرجئ التمردات....

اعتقد هنري أن جيون نجحت في إغوائي، لكنه سوف يعرف الحقيقة من خلالي آخر الأمر، مثلما فعل (مارسيل بروست) عندما كان يتحدث في غاية الانتشاء مع صديقة لـ (ألبرتين)والتي ستنبوّه بعض مالا يعرفه عن (ألبرتين)، أكثر مما لو كان يتحدث إلى ألبرتين نفسها، والتي كانت تكتم عنه كل تفاصيل حياتها..

لقد وعدت هنري أن أقوده وآخذ بيده إلى عالمنا، عالمي..

إنه لأمر ممكن تماما أن أكون أشد كتمانا من جيون.. أكثر خوفا في الإفصاح عن نفسي..

لطالما عانيت بسبب تعدد (وجوه الشخصيات) الذي كنت أسميه في بعض الأحيان (شراء) ولكني أراه في أحيان أخر نوعا من وباء متكاثر كالسرطان..

إن أول تصور يخطر لي عن الناس يتساوق مع الكليانية بينما كنت أتشكل من مجموعة (نفوس)

وأتكون من شظايا....

كنت أدرك أنني مشوشة مثل طفل اكتشف توا أن للإنسان حياة واحدة، فأردت أن أعوض هذا الواقع بتعدد التجارب، أو لعل الأمر يبدو وكأن المرء يندفع وراء جميع النزوات فتأخذه في اتجاهات متباينة..

وعلى أية حال –فإنني عندما أكون سعيدة – ويحدث هذا في ابتداء الحب وعذوبته، أحس كأنني قد وُهبت حيوات متعددة..

كان من السهل جدا على هنري أن يقول عن جيون بأنها إمرأة صادقة، كان لنا جميعا أن نكون صادقين إزاء اللحظة النابضة، إزاء الحياة وليس إزاء من نُحب..

كنت قد وقعت في فخ جمال جيون وموهبة هنري وكنت أمنح كلا منهما شيئا منيّ يمضي إلى شخص كل منهما...

الكاتبة القابعة في أعماقي كانت تجد متعة مع هنري و هنري يمنحني عالم الكتابة، أما جيون فإنها تقدم لي المخاطرة.

كان ينبغي لي أن أختار بينهما....لكنني فشلت..

يتحدث (هنري ميللر) عن (القديس فرانسيس) متأملا في فكرة (القداسة)..

سألته: لماذا؟؟

– لأنني أعتبر نفسي آخر الرجال على هذه الأرض..

شرعت أفكر بهذا الاعتراف المخلص الذي منحني إياه، وأفكر بقدرته على أن يكون باعثا على المهابة، ذلك انه لم يكن قط شخصا فاسدا أو منافقا..

عندما أكون في تجليات حالتي الطبيعية فإنني انغمر في إعداد الطعام، أوقد النار وأمارس الطهي..

يقول هنري: حتى الآن لم أجدني طبيعيا أمامك..

يقولها بتواضع واستمتاع فأرى (هنري) آخر مختلفا عن ذلك المدوّن في الكراسات والكتب..

يعيش هنري حياة يمكن أن توصف بالدعة وفي أحيان أخرى يفلت من الراهن، كراسات الكاتب وأحاسيسه لا تكون ضمن مدى اللحظة دائما..

وعندما تستغرق هنري الكتابة يبدو وكأنه يشع دفئا وتظهر ردود أفعاله بتعبيرات مسرحية..

أحاديثنا: هو يلغته الشاعرية المألوفة وأنا بلغتي، لم أكن أستخدم أيا من مفرداته قط..

هو يحذره الدائم، وأنا باندفاعاتي الصادقة، ويبدو لي أن (لاأكتمي) أكثر باطنية وحدسية وانتماء للغريزة فلم تكن تظهر أو تطفو على السطح كما يحدث مع هنري فأفكاري حيوية متحركة مقابل تحليلات هنري القاسية..

إيماني بالمعجزات يقف مقابل فجاجة تفاصيله وواقعيتها

ينتابني المرح عندما يقتنص خلاصتي:

– تبدو عيناك مثل معجزتين دقاقتين..

ترى، من سيجترح هاتين المعجزتين؟؟

مع اناييس نن

هنري ميللر.. قلم مدجج بالمسكوت عنه

شكيب كاظم

وانا اقرأ مذكرات او اعترافات الروائي الامريكي الشهير (هنري ميللر) المولود في حي يورك فيل في مدينة نيويورك في السادس والعشرين من شهر كانون الاول سنة ١٨٩١ والمتوفي في السابع من حزيران عام ١٩٨٠،عن عمر ناهز التسعين عاما، هذه المذكرات او الاعترافات التي تحيلنا الى اعترافات اخرى شهيرة هي اعترافات جان جاك روسو، التي منعت من النشر مدة طويلة، واسمه كذلك يصاقب اسم الاديب الامريكي المعروف ارثر ميللر، الذي اقترن بجميلة الجميلات ونجمة السينما الامريكية المنتحرة فجر الرابع من اب/١٩٦٢، والمتوفي هو الاخر في شهر كانون الاول من عام ٢٠٠٤، اقول وانا اقرا اعترافات هنري ميللر التي اجراها معه الناشر كريستيان دي بارتيا، ونشرت في ضمن سلسلة (كتاب الهلال) عجبت لهذا التمكن من ادارة الحوار، مع هذا النجم الروائي، الذي عاش الحياة من كل اطرافها، وعب من ملاذها الى حد التخمة والتجشؤ والاشباع، ولما يرتو، الرجل العاشق للجمال والمزواج، الذي تزوج بخمس من النسوة، وكانت اخر زوجاته تصغره بنصف قرن من الزمان!! هذا المزواج الشيخ الذي ظل مراهقا طول العمر، مالبث ان هجرها الى ممثلة صاعدة شابة اسمها (براندا فينوس) ماكانت قد انهت عقدها الثالث عمرا!! والذي عاش وقتا طويلا مع عشيقته التي دخلت حلبات الأدب من خلال روايتها الاوتوبيوغرافية الجريئة، لابل الفاضحة (اناييس نين) التي كانت تتحدث فيها عن حاجات جسدها، كما لو كانت تتحدث عن كيفية اعدادها طعام العشاء!! كتبت مذكراتها التي تحمل عنوانا مثيرا (نار) في سبعه اجزاء جعلتها تدخل عوالم الأدب الفضائحي من اوسع ابوابه، فهي لاتتورع عن ان تعترف انها في انتظار الحبيب وهي غير مرتاحة انها مشحونة بالشهوة، وانها تحيا في كومبديا بهيجة إن قبلها شخص او ضاجعها!!

هذه الأدارة الجميلة للحوار، التي نافت على المئة والخمسين صفحة، لم تات من أرض رخوة هينة، بل جاءت نتيجة تقص دقيق لكل هنري ميللر وإبداعاته وكتاباته، لقد قرأ كريستيان دي بارتيا كل كتابات ميللر واعماله الأبداعية والفكرية والسرية ودرس كل صغيرة وكبيرة تخصه، وسجل عديد الملاحظات والنصوص والشذرات من كتبه، وقعد أمامه ليجاذبه اطراف الحديث، ويناقشه ويدير معه هذا الحوار الممتع الجميل،الذي أري ضرورة ان يطلع القاري المتتبع والجاد عليه وقراءته، لأنه يقدم لك خلاصة مفيدة ومعمقة، لكل أبداعات هذا الرجل، حتى أنه يضيئ بعض الأمور التي غابت عن ذهن ميللر بحكم تقادم الزمن، او ما إعتور الذاكرة من ضعف الامر الذي يدفعه الى الاعتراف امام محاوره بهذا الضعف الأنساني.

في شهر تموز من عام ١٩٧٢، التقي الناشر دي بارتيا في مدينة الباسيفيك باليسار، بالشاب الثمانيني هنري ميللر!! ذي الوجه الجنكيز خاني إنه يقارن لقاءه الحيوي هذا، باللقاء الذي يصفه بالميت الذي اجراه في السنة الماضية مع اندريه مالرو، الذي بدا يخاطبه كما لو كان من عالم الاموات من دون ان يدرك انه مازال على قيد الحياة!! وإذ يجد رغبة جامحة لدي بارتيا لأجراء حوار معمق معه، يتفقان على أجرائه في وقت لاحق. في السنة القادمة، رجع متخماً بعالم ميللر، اعاد قراءة كل اعماله، وقلم الملاحظات في يده، مدججا بالجانب الأستفزازي في شخصيته، أن يستفز المحاور بغية انتزاع كل الكامن والمخفي والمسكوت عنه، بله المعروف او الفضائحي، ولا اري أن هناك ماهو كامن أو مخفي في حياة ميللر!!

أن بارتيا يري ضرورة مثل هذا الحوارات العميقة التي تكاد تفصح عن كل أو غالب ماعجزت أعماله الأبداعية عن تناوله، أو الحديث عنه، فهو يتساءل ماذا لو كنا حاورنا بلزاك أن ميللر بدأ السادس (...) إنها نوع من الأختراق النفسي المتبادل؟!

كريستيان دي بارتيا، بعد أن يتقصى كل سنوات طفولة ميللر، ينتقل وهذا هو المهم والمُعجب معا الى إجراء حوار فكري عميق، يتناول في إبداعات ميللر، فهو يؤكد له أنه أعاد أخيرا قراءة كل كتب ميللر، حسب تسلسلها الزمني، مقسما إياها إلى مرحلتين زمنيتين، الأولى مرحلة ماقبل العودة الى الولايات المتحدة، يوم كان يحيا في أوربة، وفرنسة خاصة، والمرحلة الثانية بعد عودته الى الولايات المتحدة، بلده، ويبدأ حواره بأول كتبه (يوم أحد بعد الحرب) واقفا عند مقولة ميللر من أن زمن الرواية الأكاديمية قد ولي، وأنك بالنتيجة تعبر عن شيئ آخر، ما أدعوه أنا بالرواية الأتوبيوغرافية، رواية السيرة والترجمة الذاتية، وذلك في مقابل رواية مسْرَحة العالم الدوستويفسكية. وتفهم من خلال الحوار أن ميللر بدأ الكتابة متأخرا نسبيا، إذ بدأ يكتب عند بلوغه الثالثة والثلاثين مع أنه كان أزمع الكتابة قبل هذا التاريخ، لكن لم يجد في نفسه الشجاعة على الكتابة، ونشر هذا الذي يكتبه.

ونقف عند أولي رواياته (الأجنحة المتكسرة) وهذا المر يحيلني الى التخاطر

ووقوع الحافر على الحافر، حتى في عنوانات الكتب، فلقد أفردت مرة بحثا عن هذه العنوانات المتشابهة وكيف يحصل ذلك؟ فرأجنحة المتكسرة) عنوان رواية لجبران خليل جبران، وأذ كتب الدكتور طه حسين عمله القصصي (المعذبون في الأرض) كتب (فرانز فانون) الكاتب السوسيولوجي الزنجي المولود في المارتينيك إحدي جزر الأنتيل الفرنسية ودارس الطب في جامعة ليون، والذي تعرف على الشعب الجزائري من خلال عمله في مستشفى الامراض العقلية في مدينة (بليدة) وأصبح من أشد مؤازري جبهة التحرير الوطني الجزائرية، خلال سنوات جهادها ضد الاحتلال الفرنسي (١٩٥٤ - ١٩٦٢) كتب كتابه (المعذبون في الأرض) او معذبو الارض في ترجمة اخرى فضلا على كتابه المنظر للثورة الجزائرية الموسوم بـ(سوسيولوجية ثورة) وللفقيه المحدث، أبن كثير كتاب عنوانه (بداية ونهاية) وبعد قرون يكتب نجيب محفوظ روايته (بداية ونهاية)!!

ثم يقفان عند روايته (مدار السرطان) التي يعدها البداية الجادة للرواية الاتوبيوغرافية الطويلة، أي الرواية التي تنهل من سيرة مبدعها الذاتية أو تحايثها وصولا الى إضاءة كوامن النفس والذات، وتفهم من خلال الحوار أن ميللر بدأ الكتابة متأخرا نسبيا، إذ بدأ يكتب عند بلوغه الثالثة والثلاثين مع أنه كان أزمع الكتابة قبل هذا التاريخ، لكن لم يجد في نفسه الشجاعة على الكتابة، ونشر هذا الذي يكتبه.

ونقف عند أولي رواياته (الأجنحة المتكسرة) وهذا المر يحيلني الى التخاطر

في حواره الممتع هذا نقع على مفارقة مضحكة، إذ أن من عادته ان يذهب الى بريطانية، بين اونة وأخري، خشية أن تضعف لغته الانكليزية، بسبب الاقامة الطويلة في فرنسة، في احدي سفراته، يساله موظف الكمارك الانكليزي عن مهنته، يجيبه أنه كاتب (مدار السرطان) فظنه طبيبا، ولأعتقاده بانه يكذب، فقد أعاده الى الباخرة التي اقلته مثل أي مبعد أو مجرم مخاتل!!

هنري ميللر يمتلك حاسة تنبؤية عجيبة، فهو يتحدث في كتابه (يوم أحد بعد الحرب) المكتوب في عشرينات القرن العشرين، يري كما سبق ان تنبأ الفيلسوف الالماني أزوالد إشبنكلر في كتابه (سقوط الغرب) ويؤكد في حديثه هذا المجري معه عام ١٩٧٢ من أن أوربة ستعرف في أحد الأيام غزوا أسيويا.

وها نحن نشهد غزوا بشريا لأوربة لا عسكريا، الامر الذي دفع بقادة الرأي فيها الى ضرورة وضع حد للهجرة، خاصة إزاء عدم تقبل الكثير من المهاجرين طرق الحياة هناك واندماجهم في ثقافة المجتمع الذي يعيشون في رحابه، لا بل انهم يحاولون التأثير في طريقة العيش يقومون بدور المؤثر لا المتاثر!!

لقد ظهر لدينا العديد من المحاورين الجيدين، على مستوي العراق والوطن العربي، مثل فاروق شوشة، في برنامجه الاذاعي الممتع والجميل، الذي كان يقدم من القسم العربي بهيئة الاذاعة البريطانية (B.B.C) والموسوم بـ(حوار مع....) وكذلك الاستاذ ماجد السامرائي، الذي كان يضيف للحوار نكهة مميزة من ثقافته العميقة، فضلا على مجيد السامرائي والسيدة ابتسام عبد الله وناظم السعود وجوزيف عيساوي من لبنان لكن الحوار الذي أجراه كريستيان دي بارتيا مع هنري ميللر، والمترجم من قبل خالد النجار والمنشور ضمن سلسلة (كتاب الهلال) يعد ظاهرة فريدة في فن الحوار أذ أن مُجْريه جاء مكتنزا بامكانات معرفية، مستقاة من قراءته لكل كتابات من أجري الحوار معه، فضلا على تقصيه الواسع عن حياته فهل نستفيد من هذه الميزة المتميزة والمثيرة حينما نجري حوارانا؟؟

مكالمة هاتفية مع هنري ميللر

منذ كتبت كتابي الاول بدأ العالم الذي احب ان احياه ينفتح امامي..

ترجمة/ لطفية الدليمي

مكالمة هاتفية من هنري ميللر، مقابلة مع (د. اوتو رانك - المحلل النفسي) زجحت مائة بالمائة.. اصبر رانك صديقا لهنري، انه شديد الا عجاب به.. قال له ان كتابيا (مدار السرطان) لم يقدم اعماق شخصية هنري، بل اقدم على تضخيم هيأته الخارجية حسب.
قال هنري: أنا مدين بكل هذا لك انت..
قلت: بل انت مدين لما انت عليه بذاتك.. كنت قد اخبرت هنري بان (د. رانك) سيقدره حق قدره.. وكان هنري مشوشا الى حد ما.. لكنه وضع شقته بل، انه بحاجة الى الثقة التي سيمنحها له هذا التحدي.
زرت الكونتيسة لوسي التي تظهر على صفحات (مجلة فوج) ببشرتها الصدفية المتوردة وشعرها الذهبي الشاحب باعتبارها الجميلة التي ثم تفقد الاطلالة الشهوانية لجسدها وعينيها الخضراوين.

– لهب هائل في المدفأة، مقاعد ذات اذرع مكسوة بالساتان الابيض مع اريكة واسعة، كانت ترتدي ثوبا منزليا يعيد الى الذاكرة ثياب (اوديت) حديثها كان غريبا وبالغ الهشاشة. جارح الوضوح.. لقد شرعت في إصدار مجلة مع (ادموند جالو) وتريد ترجمة بعض كتاباتي لهذه المجلة.
انظر الى النافذة الطويلة، النافذة المغطاة بالدانتيل والوسائد تحت القدمين، الحياة اللامعني لها.. كانت لوسي شديدة الحماس لفكرة انني سأحقق لها المعجزة..
قالت: إنني احب هدوء العظيم، انت تمتلكين حياة تجاوزت العقبات وانتصرت عليها.. اما انا فانني امر بمرحلة العمر الخطرة المتذبذبة البليدة أحب ان امتلك وثوقيتك، انني انتظر الحب لب الحياة حياة المرأة وجوهرها.
قلت لها: لا تنتظريه، ابتكري العالم، عالمك وحدك قفي وحيدة وسوف يسعى الحب اليك، فانا منذ كتبت كتابي الاول بدأ العالم الذي احب ان احياه ينفتح امامي..
قالت: أشعر وكأنما قد حكم علي بقدر مشؤوم: ان اكون متفرجة حسب، انا المتفرجة على حياة الاخريات لأ عجب بهن.. لكنني اريد اكتشاف عالمي الشخصي استطيع تصور ما يحيط بحيرات الناس الا حياتك انت.
–لا استطيع ان أقول اكثر من ان ما يحيط بي هو انا، كل شيء هو انا، لانني نبذت كل ما هو متعارف عليه، كل ما ينتقد به العالم، كل قوانينه وأعرافه، فانا لست مضطرة للعب دور اجتماعي مثلك اومثل (جين).
كانت لوسي تتخبط ما بين عالم الفن وعالم المجتمع، بين البوهيمية والارستقراطية، بين ألتقاليد والانحراف عنها.. ولانها فنانة مرهفة تحدثت عن طريقة سيري، تحدثت عن يدي عن ايماءاتي باسلوب متوهج ورائع.. رأيتها وهي تفتح بثلاث زنابق (التيوليب) فبدت الزنابق اقرب الى الزهور الاصطناعية وفقدت سحرها.. هل سيزول كل هذا الجمال لان لوسي تبحث عن حياة لها نكهة الحياة.
قالت: إنني احب هدوء العظيم، انت تمتلكين حياة تجاوزت العقبات وانتصرت عليها.. اما انا فانني امر بمرحلة العمر الخطرة المتذبذبة البليدة أحب ان امتلك وثوقيتك، انني انتظر الحب لب الحياة حياة المرأة وجوهرها.
قلت لها: لا تنتظريه، ابتكري العالم، عالمك وحدك قفي وحيدة وسوف يسعى الحب اليك، فانا منذ كتبت كتابي الاول بدأ العالم الذي احب ان احياه ينفتح امامي..
قالت: أشعر وكأنما قد حكم علي بقدر مشؤوم: ان اكون متفرجة حسب، انا المتفرجة على حياة الاخريات لأ عجب بهن.. لكنني اريد اكتشاف عالمي الشخصي استطيع تصور ما يحيط بحيرات الناس الا حياتك انت.
–لا استطيع ان أقول اكثر من ان ما يحيط بي هو انا، كل شيء هو انا، لانني نبذت كل ما هو متعارف عليه، كل ما ينتقد به العالم، كل قوانينه وأعرافه، فانا لست مضطرة للعب دور اجتماعي مثلك اومثل (جين).
كانت لوسي تتخبط ما بين عالم الفن وعالم المجتمع، بين البوهيمية والارستقراطية، بين ألتقاليد والانحراف عنها.. ولانها فنانة مرهفة تحدثت عن طريقة سيري، تحدثت عن يدي عن ايماءاتي باسلوب متوهج ورائع.. رأيتها وهي تفتح بثلاث زنابق (التيوليب) فبدت الزنابق اقرب الى الزهور الاصطناعية وفقدت سحرها.. هل سيزول كل هذا الجمال لان لوسي تبحث عن حياة لها نكهة الحياة.
ما هو وجه الاختلاف بيننا؟
انني احيا احلامي، ولم تكن الاحلام إلا علامة البداية، فهي توحي لي بالسبيل التي ينبغي لي ان اتجه اليها..:ما العالم الذي افتتن به (مارسيل بروسة) واغراه فهو لا يستهويني للعيش فيه..
بوسع لوسي اللحاق بي في عالمي..
اسير خفيفة في الربيع النامي المزهر، استمع الى اصوات جديدة، الانقاس البهيجة الجديدة للارض وانا انتظر اللقاء مع (انطو نين أرتو) وعائلة (د. البليدي) هذه الليلة.
كان البليدي بكل حكمته يخلط اجراء صداقاتي، ولكن كيف اخبره بالامر؟.. لقد بدأ يعاني من الغيرة واصبح كثير المطالب. فوجدت من المستحيل علي مقاومة المتعة الهائلة في الاغراء والمغازلة، حتى وان لم اكن اعيش حالة حب.. اية اثارة!! انها تشبه الزهو الذي يحسه المتزلج على الجليد قبل النهاية الرائعة للمنحدر الابيض. او ما يشعر به السباح وهو يواجه موجة شاهقة او ما يحسه متسلق الجبال وهو يتطلع الى القمة الشامخة الصعودات والقفزات والانحدارات.
كانت حكمة (البليدي) تحميه من طغيان الالم.. وكنت قد بدأت اللعب، مثلما علمني في تحليله النفسي لي:ان استسلم للنزوات والاهواء والميول، كان يتمنى ان يكون قد التقى بي في شبابه وتزوجني.
الى اي حياة كنت سأخذه.
جلست وحيدة في (الاستوديو) حضر آل ألبليدي مع انطونين أرتو، كان أرتو يحدق بالكريستالات، سرنا في الحديقة الشاسعة المغمورة بضوء القمر، كان أرتو يتحرك بثقة ومزاج روماس شفيف:
قال: الجمال الذي اعتقدنا اننا فقدناه في عالمنا، يقيم هنا، في هذا البيت السحري والحديقة الفاتنة الخرافية، انها أحدى حكايات الجن..
كان (انطونين أرتو) نحيلا متوترا له وجه شبيه بطائر (الفلق) وعيناه حالمتان محتشدتان بالرؤى، قلق ساحر، حاد، وماكر.
المسرح بالنسبة لانطونين أرتو هو المكان الذي يطق من فوقه صيحة الالم، وصرخات الغضب والحقد والعنف ليجسد القسوة امامنا.
يقول: ان اشد انواع الحياة عنفا يمكن ان تتفجر جراء الارهاب والموت..
تحدث أرتو عن طقوس (عبادة الدم) وكيف اننا فقدنا سحر الاتصال الانساني، تحدث عن العبادات القديمة التي عرفت كيف تجعل الايمان والنشوة الروحية تشيعان بين الناس كالعدوى.
لقد زالت قوة هذه العبادات وسحرها.. وهو يعمل الآن لاعادة الاعتبار لها فوق مسرحه..
يريد.من المسرح ان يؤدي هذه المهمة ويشكل نقطة استقطاب لهذه العبادات والشعائر التي يمكنها ان توقظنا جميعا.
يريد (أرتو) ان يطق صرخاته ليحرض الناس على التوهج وبلوغ النشوة من جديد.. انه لا يريد مسرحا.يقوم على الحوار والتحليل ويسعى الى ان ينقل التأثير عبر تجسيد حالات النشوة والانفعالات الحادة..
يريد (انطو نين أرتو) مسرحا بلا غايات. واذ هو يتدفق بالحديث تساءلت عما اذا كان على حق لو قوله: اننا ضيعنا تلك العبادات، او اننا نحن الذين فقدنا الاحساس وقوة المشاعر ولن تنجح أية شعائر أو عبادات في اعادة ما فقدناه وبث الروح في احاسيسنا.
(انطو نين أرتو) هو السريالي الذي تخل عنه السورياليون ونبذره، (انطونين أرتو) هذا الوجود الشجي الناحل الذي يرتاد المقاهي ولكنه لا يشاهد ثملا او جالسا بين الناس يشاركهم ضحكهم.. انه هذا المدمن المنعزل الذي يجوب الطرقات وحيدا ويحاول تقديم مسرحيات تحاكي مشاهد الارهاب والتعذيب.
عيناه زرقاوان بفعل الارهاق، وسوداوان بالالم.. انه كائن هيستيري، لقد قام باداء دوره الرائع عن الراهب ألذي عشق (جان دارك) في فيلم المخرج (كارل دراير) عيناه المفعمتان بالاسرار تشعان كأنما من اعماق كهف بعيد عيناه الغامضتان، عينا الاشباح والاسرار.
الكتابة بالنسبة لارتو مدعاة للالم، لانها تأتي متوترة مهتاجة مليئة بالتشنج، يعيش أرتو صراعا دائما مع العالم الذي يستحضره في مخيلته ويقوم بمحاكاة مسرحيته لتبدو احداثه العنيفة اشبه بحالة تأملية اكثر ساتقدم كمظهر من مظاهر القسوة.
وبينما كنا نقف في الحديقة بدأ هجومه على الهذيان واخذ يلعن ويشتم المهلوسين.
قلت انا سعيدة بهلوساتي.
قال: انا لا اجرؤ على قول هذا، الهذيان يرعبني وانا ابذل جهودا انسانية جبارة من اجل الافاقة من الهذيان.

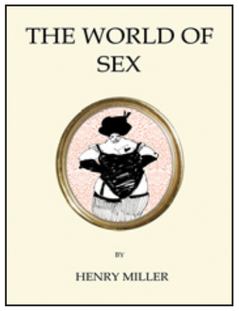

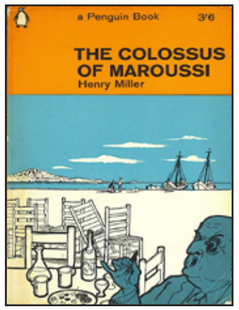

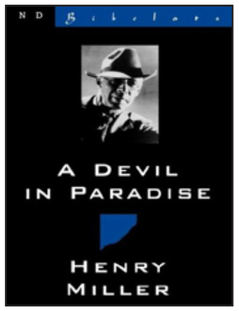

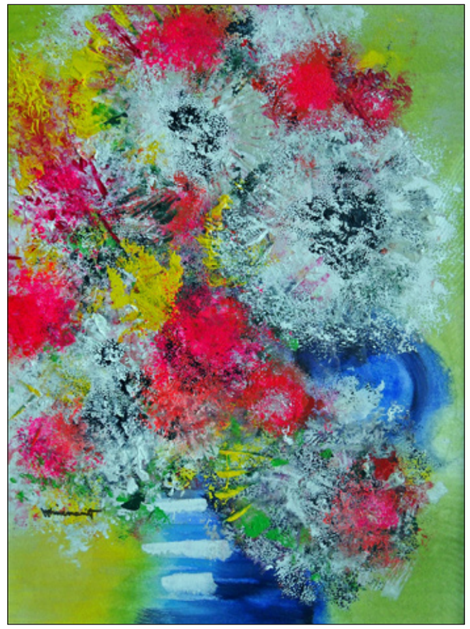

من اعماله الفنية

خبرني (د. الليندي) ايه حاول انقاذ أرتو من الادمان الذي اوشك ان يدمر.
لم ألحظ عليه امرا استثنائيا في تلك الامسية باستثناء هجومه على المفسرين من النقاد الذين اضجروه وحالوا بينه وبين احساسي المرفي بالعظمة.
تحدث أرتو بحمامة بالغة عن (الكابال) والسحر والاساطير والخرافة.
قال د. الليندي انه أجرى حوارات عديدة مع (أرتو) لكنه رفض ان يخضعا للتحليل النفعي باعتباره وصفة للشفاء. انما استسلم اخيرا للفكرة وتقبلها وقد اعانه التحليل الى حد بعيد.
عندما زار د. الليندي بيتي في ضيعة (لوفيسانس) قال: اشعر انني هنا في بلاد قصية.
بينما قال أرتو : كلا.. ابدا احس تماما انني في بيتي في وطني. هنا.
كتب أرتو عن رعبه في عزلته ووحدته وبعد ان قرأت مخطوطته عن (الفن والموت) اعطيته مخطوطتي (بيت سفاح القربى) وكتبت له رسالة قلت فيها:
– إن ما هو اساسي في الكتابة هو ما ينمحنا الشعور بعدم وجود مبالغات في الكلمات، وسوف تجد في كتابي هذا انني هيأت العالم لاستقبالك عن طريق تغييب الجدران والحواجز والأضواء الخافتة والبلور ذي الانعكاسات والاعصاب المخدرة.
والعيون الرؤيوية وحمى الاحلام.. انجزت هذا الكتاب قبل ان اعرفك وقد كتبته ليتناغم ويتزامن مع رؤيك الخاصة للعالم.
الكتابة بالنسبة لارتو مدعاة للالم، لانها تأتي متوترة مهتاجة مليئة بالتشنج، يعيش أرتو صراعا دائما مع العالم الذي يستحضره في مخيلته ويقوم بمحاكاة مسرحيته لتبدو احداثه العنيفة اشبه بحالة تأملية اكثر ساتقدم كمظهر من مظاهر القسوة.
وبينما كنا نقف في الحديقة بدأ هجومه على الهذيان واخذ يلعن ويشتم المهلوسين.
قلت انا سعيدة بهلوساتي.
قال: انا لا اجرؤ على قول هذا، الهذيان يرعبني وانا ابذل جهودا انسانية جبارة من اجل الافاقة من الهذيان.
المفكر.. ام انها وسيلة يستخدمها ليموضع عالمه وسط عالم جرى تنظيما ليجد لنفسه – بالتالي– مكانا فيه.
كان هنري ميللر منغمرا بالعمل وهو يتصارع مع (د. هـ. لورنس) ويبحث في كدس من الملاحظات يحرك ذراعيه ويشير ويدخن ويلعن ويستخدم الآلة الكاتبة ويحتسي النبيذ الاحمر وقد سمع انني اعد بحثا كلفني به (د. البليدي) عن (تاريخ الطاعون) والعنف والارهاب اللذين يتفجران فجأة جراء الرعب من مواجهة الموت.
كانت هذه الفترة بلا ريب فترة غنية نابضة، واخذ هنري يصغي الى معتقدا ان هذه المادة تناسب موضوعه ووجه لي اسئلة صاخبة وكان مقتنعا بالمعطيات والمعلومات التي اغنت بحثه، انه لا يتورع عن استخدام اي شيء يمكنه ان يثري موضوعه ويخدمه.
يقول (هنري ميللر) :
يمثل (هنري جيمس) روح المدينة الكبرى الديناميكية يمثل الحماسة والتعلقات والخيبات بينما يعمل (جيمس جويس) مثل المنقب الأثاري بحثا عن الارواح الميتة.
ايقن (هنري ميلر) انه يجتاز الآن مرحلة تحول كبرى من التلذذ الرومانسي بالحياة الى الاستمتاع الكلاسيكي بالافكار.
عندما قال له فرانكل قبل عام:
الناس هم محض افكار.
قال هنري: لماذا الافكار؟.. لماذا الرموز؟. وها هو يعود الآن ليصبح فيلسوفا.
جلسنا في المقهى وشربنا وبدأنا نتحدث عن (اشبنجلر) استغربت لماذا يحدث هذا؟ امن اجل ان يحاول تنظيم تجاربه وموضعتها؟
انني فخورة بنشاطه وفعاليته، ادركت الآن انني كنت مخدوعة بهنري المغامر وبعالمه السفلي ومباهاته بكوارثه وليالي فجوره وبحثا المسعور عن المتعة وفضوله وحياته في الشوارع وعلاقاته بالناس في كل مكان.
قاعة المحاضرات في (السوربون)
(د. البليندي) و(أرتو) كانا يجلسان الى المنصة الكبيرة يتحدث البليندي الى أرتو، القاعة محتشدة باناس من اعمار مختلفة. وكلهم من مريدي محاضرات (البليندي) كان الضوء وهاجا ومباشرا فأخذ أرتو يرمش ويحول بصره الى المناطق المعتمة، كان شعره الطويل يلامس كتفيه وتميز جسمه رشاقة وخفة ايماءات المثل المحترف.
بدا وجهه ناحلا مثل من اصابته الحمراء، ولم تكن نظراته موجهة الى احد.. عينا الرؤيوي الحالم.
بدا البليندي الى جواره ارضيا وثقيلا وكئيبا، خادما ومستكينا.
سار أرتو بضع خطوات عن المنصة وبدأ يلقي محاضرته عن (المسرح والطاعون)
طلب الي الجلوس في الصف الامامي، احسست ان ذلك كله من اجل لفت الانظار اليه.
تابعت المحاضرة وانا اتساءل.
– هل اراد اقناعنا بان الانسانية تنجز اعمالا ومنجزات فنية لا حصر لها خلال موجات الطاعون لان الانسان يبحث عن البقاء او الهرب او يحاول تجاوز ذاته في فوضى الرعب من مواجهة الموت؟
كان وجهه مسورا بكمد موجع والعرق يبلل شعره، عيناه متسعتان، عضلاته متشنجة واصابعه تجاهد ان تحتفظ برمونتها، كان حضوره يجعل المرء يحس بلسعة وحرقة في حنجرته.. يجعله يشعر بالالم والحمى، بالنيران في الاحشاء.. كان يمر بحالة عذاب نفسي مبرح، كان يصرخ ويهذي، كان يمثل مشهد موته الخاص، ولحظات الصلب الاليمة.
في البدء اجتاحت الجمهور همهمة واضحة، ثم بدأوا يضحكون.. الكل بدأ يطلق القهقهات والفحيح، ثم اخذوا يغادرون المكان واحدا بعد الآخر محدثين جلبة ولغوا واحتجاجا. كانوا يصفقون الباب وهم يغادرون.
الوحيدون الذين لم يتحركوا كانوا: الدكتور الليندي وزوجته، وآل لالوس ومارجريت.. شعره الطويل يلامس كتفيه وتميز جسمه رشاقة وخفة ايماءات المثل المحترف.
لكن أرتو لم يتوقف واستمر حتى آخر نفس وبقي واقفا وعندما خلت القاعة تماما إلا من الاصدقاء القلائل سار مستقيما باتجاهي وقبل يدي وطلب مني ان اصحبه الى المقهى.
كان لكل هذا ما يشغله فتقرفنا لدى بوابة (السوربون) وسرنا انا وأرتو في الضباب الرقيق، سرنا في الشوارع المعتمة، كان مجروحا ومتضررا، مخيبا مخذولا جراء السخرية، لقد نفث غضبا:
– انهم يريدون سماع (ما حول) الشيء، يريدون سماع مادة حول المسرح والطاعون اما انا فقد منحتهم التجربة بذاتها، الطاعون نفسه، فارتعبوا واستفاقوا، ومضيت في ايقاظهم.. لم يكونوا مدركين انهم موتى، وان موتهم كان شاملا، كالصمم والعمى، كان قد جسدت لهم الألم.. ألمي أنا.. نعم وألم كل كائن حي.
تساقط الضباب والندى على وجهه، اژاح شعره بعيدا عن جبهته، كان مكروبا ومبلبلا، لكنه تحدث الآن بنبرة هادئة جلسنا، نسي المحاضرة.
. لم اجد انسانا يحس بما احسه.. انا مدمن افيون منذ خمس عشرة سنة، لقد قدموا لي الافيون وانا صغير جدا لتخفيف بعض الآلام الشنيعة في رأسي.. احس احيانا انني لا اكتب وانما اصف كفاحي مع الكتابة ومجاهدتي لأولد.
اخذ يردد بعض القصائد ونحن نتحدث عن (الفورمة) الشكل والمسرح وعن عمله بالذات.
– انا أحب الشاعر فيك..
انفعل بما قلته لكن عبارتي لم تجرح اعتزازه بنفسه.
قال: هذا هو شعوري بالذات.. انك تشبهينني اسمعي.. انني أرى الانسان شبيها بطيف، وانا اخشى الحياة وارتاب فيها.
وكل ما في الحياة يبدو لي غير حقيقي وانا احاول اقتحامها، احاول ان اكون جزءا منها.. ولكن انت يا انايس سبقتني الى اقتحامه.
افترقت الحياة بكل هذه الحيوية التي لم اجد امرأة أخرى تتمتع بها.. لم اتعرف الى امرأة اقرب شبها بـ(الروح) منك.. كل ما يحيط بشخصك يخيفني، عيناك الشاسعتان المستحيلتان، وضوحك المستحيل شفافيتك كل هذه الاشياء التي تبدو خلوا من الاسرار تدفع المرء للاعتقاد بانه قادر على النظر اليك عبرها، انما الحقيقة شيء مختلف، ثمة اسرار لا نهائية تكمن خلف هذا الوضوح ووراء هاتين العينين الكاشفتين).
اذهلني تدفقه بالحديث، ثم فاجأني بسؤال:
– من هو الذي تحبينه انت.. ثمة الكثيرون يحبونك ولكن من الذي تحبينه انت؟
يعتقد الناس انني مجنون.. فهل تفكرين على شاكلتهم!
هذا ما يخيفك لذ؟
ادركت هذه اللحظة وانا انظر الى عينيه انه مجنون فعلا.. لقد كان مجنونا وهذا ما عشقته فيه.. جنونه.. اعرف انه يريد العودة الى الحياة عن طريق حب امرأة، من خلال التناسخ والتقمص والولادة من جديد لكن فقدان المنطق في حياته يجعل من اي حب انساني امرا مستحيلا.
وحتى لا أسبب له حرجا ما.. اعلنت له عن اسطورة تقسيمي الحب الى شكلين:
– الحب الجسدي والحب الروحي وهما حالتان لا علاقة لاحدهما بالآخر.
احيان أخرى بنفسجيتين.
تحول الى رجل مهذب رصين، سرنا ثانية تحت المطر كان الطاعون بالنسبة له لا يقل سوءا عن الموت موتنا بقبول او اسط الاشياء، الموت بالمشاجرة باشيائنا الموت بالفساد الذي يحيط بنا.
كان يريد ان يثير قلق الناس، بانهم موتى حقا ان يرغمهم ويدفعهم الى حالة شعرية.
قلت: أن الهجوم يثبت لهم انك تسعى لتدميرهم.. ولكن اية صدمة ان ترى شاعرا حساسا يواجه جمهورا معاديا.. اية قسوة.. واي قبح يكمن في الجمهور.
قلت لانطونين أرتو:

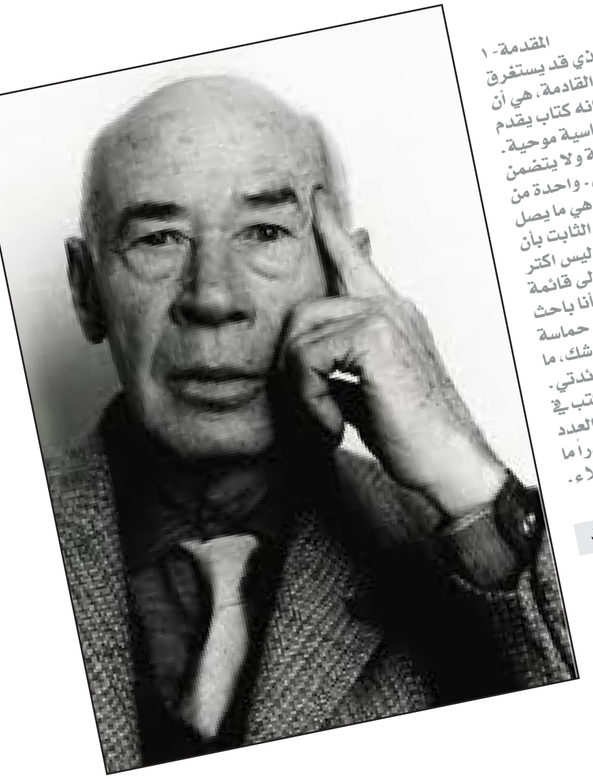

غاية هذا الكتاب، الذي قد يستغرق مجلدات في السنوات القادمة، هي أن أتتبع قصة حياتي. انه كتاب يقدم الكتب بوصفها خبرة أساسية موحية. هو ليست دراسة نقدية ولا يتضمن برنامجا لتربية النفس. واحدة من نتائج اختبار النفس، هي ما يصل إليها الكتاب. انها الايمان الثابت بأن تكون قراءة المرء أقل واقل وليس اكثر واكثر. وكما تكشف نظرة الى قائمة الكتب في نهاية الكتاب، فأنا باحث المثقف جدا. مع ذلك ومن دون شك، ما قرأته يظل اكثر مما قرأته لفائدتي. خمس الناس فقط هم قرّاء الكتب في امريكا. كما يقولون. وحتى هذا العدد الصغير يقرأون اكثر مما يلزم. نادرا ما يعيشون حياتهم بحكمة و امتلاء.

ترجمة: ياسين طه حافظ

هنري ميللر: الكتب في حياتي

هنالك دائماً كتب ثورية مغيرّة، كما يعبّرون. هي كتب موحاة وموحيه. وهي كتب قليلة ومتباعدة طبعاً. يكون الانسان محظوظاً إذا حظي بعدد قليل من هذه الكتب في حياته. علماباّن هذه الكتب هي ليست تلك التي تغزو عموم الناس. انها الذخيرة المُخَبَأة التي تغذّي ناساً أقل موهبة لكنهم يعرفون كيف يميلون لانسان في الشارع. الحجم الكبير للادب في الشارع، هو من أوصل لي هذه الفكرة. المسألة التي لا تُحلّ – يا للعجب! هي الى أي مدى سيكون هذا الكتاب فاعلاً ليستر الكمّ المُهال من العلف الرخيص؟ الشيء الوحيد الاكيد اليوم هو أن الأميّ ليس هو الأقل ثقافة بيننا.

ان كانت المعرفة او الحكمة هما ما نبحث عنه فالافضل ان نتجه مباشرة الى مصادرهما مباشرة. وهنا لايكون المصدر هو الدارس أو الفيلسوف ولا الاستاذ ولا القديس أو المعلم، بل هو الحياة نفسها. تجربة الحياة المباشرة.. الشيء نفسه بالنسبة للفن. هنا أيضاً يمكن ان نعفي "الاساتذة". حين اقول الحياة فأنا، للتأكيد، احمل في ذهني نوعاً آخر من الحياة غير التي نعرفها اليوم. احمل في ذهني نوع الحياة التي تحدث عنها د.هـ. لورنس في Estrucan Places أو تلك التي تحدث عنها هنري آدمز "حين حكمت العذراء عالم البراءة".

في هذا العصر الذي نعتقد فيه بان هناك منفذاً قصيراً الى كل شيء، يكون الدرس الاعظم الذي يجب تعلمه هو ان اصعب الطرق في السباق الطويل، هو الأسهل. كل ما قُدِّم في كتب، كل تلك التي بدت حيوية جداً ومقنعة، انما هي بعض ضئيل مما بمقدور أي شخص ان يستفي منها. كل نظرياتنا في التربية تقوم على فكرة غامضة تقول اننا يجب ان نتعلم السباحة على الارض قبل النزول الى الماء. هذه الفكرة او النظرية تُطبّق على الفنون مثلما تطبق على المعرفة. الناس ما يزالون يُعلّمون كيف يبدعوا من دراسة اعمال الآخرين. او ان يرسموا خططا او تخطيطات لا لكي تتجسّد، يُعلّمون الكتابة في الصفوف المدرسية بدلاً من ان يُعلّموها في زحام الحياة. ما يزال الطلبة يُعْطَون نماذج يُفْتَرض انها تلائم كل مزاج وكل ذكاء. فلاعجب إذن اننا ننتج مهندسين وخبراء صناعيين افضل مما ننتج حتى رساميّن.

اعتبر مواجهاتي للكتب شبيهة بمواجهاتي لظواهر الحياة الأخرى أو للفكر.

كل المواجهات مختلطة الأشكال وليست منفصلة. بهذا المعنى، وهذا المعنى فقط، فلأنظر الى نفسي وقد كنت قارئاً احب رؤية انسان يشق طريقه خلال غابة، ولم يكن هدفي العيش في غابة– انما للخروج منها! قناعتي الثابتة بألا ضرورة للعيش في غابة الكتب هذه. الحياة غابة كافية. غابة حقيقية جداً ومتنوّرة جداً، وهذا اقل ما يقال فيها. ولكنك قد تسأل: ألا يمكن أن تكون الكتب عوناً، تكون دليلاً لشقّ طريقنا خلال الادغال؟ قال نابليون "لا تبتعدوا كثيراً حتى تعرفوا الى اين"

Nira pas lion celui qui sait"
dlavance ou it veut allen

غاية هذا العمل الأولى هو ايجاد ملاذ حيث الحاجة الى الملاذ. ومهمتي، اعلم سلفاً مستحيلة التحقيق لكنني انزل على ركبتي لأشكر كل عشبة وان ارفع رأسها. ما يستهويني في هذا العمل اللامجدي هو حقيقة اننا عموماً نعرف القليل جداً عن المؤثرات التي تشكل حياة الكاتب وعمله. الناقد في أفكاره المتباهية وصولجانه يحرف الصورة الحقيقية الى ما وراء أي ادراك. والمؤلف مهما رأى نفسه صادقاً، فهو لا مناص قد اعطى الصورة غير شكلها. هي تأتي منه متنكرّة. والسيكولوجي بعده الواحد في النظر الى الاشياء، لا يقول اكثر مما يعمّق الغموض. وأنا، مؤلفاً، لا ارى نفسي استثناءً من القاعدة. انا أيضاً أأثم في التغيير والتحريف. وفي تغيير مظهر الحقائق– إن كانت هناك "حقائق". لقد انتهى جهد الوعي بالنسبة لي إلى خطأ في الجانب الآخر. بينما أنا في جانب الالهام إذا لم اكن دائما في جانب الجمال، الحقيقة، الحكمة، الانسجام والكمال. بهذه أكون دائم التطور.

في عملي هذا اقدم قائمة بيانات طازجة لكي تُحلّل وتحاكم أو تُقْبَل ويتمتّع بها لاجل المتعة حسب. طبيعي انا لا أستطيع الكتابة عن جميع الكتب التي قرأت ولا حتى عن كل المقنع منها. ولكنني قررت المضي في الكتابة عن الكتب والمؤلفين وأهميتهم لي في هذا الميدان. ولأستفيد من هذا الواجب اللاشكر وراءه، واجب إدراج كل الكتب التي اتذكر ان قراءتها منحتني بهجة ورضى. لا اعرف مؤلفاً مجنوناً حدّ ان يحاول مثل هذا. لعل قائمتي ستعطيني المزيد من الفوضى – لكن غرضها ليس ذلك. فاولئك الذين يعرفون كيف يقرأون الانسان يعرفون كيف يقرؤن كتبه. لذلك فالكتب تتحدث عن نفسها.

في الكتابة عن Aomralisme لكَويته (جوته)، فان جولي دي جوتير يستشهد بنص منه يعني: ان في لب هذا الكتاب يوجد حنين اصيل الى الماضي وهو ليس حنيناً للماضي نفسه، كما يبدو احياناً، ولا هو حنين الى المتعذر استرداده. انه حنين الى لحظات عيشتْ كاملة والى أقصاها. هذه اللحظات تظهر أحياناً خلال التماس مع الكتب، احياناً خلال التماس مع الرجال والنساء الذين أراهم كتباً حيّة". احياناً يكون حنيناً لرفقة اولئك الصبيان الذين ترعرعت معهم والذين صارت الكتب من بعد اقوى رباط بيننا.

وهنا يجب الاقرار بان هذه الذكريات، مهما كانت مشرقة ومثيرة ليست بشيء مهم أهمية الايام التي امضيت في صحبة تلك الاطياف المكسوة باللحم، اولئك الاولاد– ما يزالون بالنسبة لي اولاداً! لقد غابوا باسمائهم الفانية: جوني باول، ادين كارني، ليستر ريردون، جون وجيمي دون.. اولئك الذين لم أرَ واحداً منهم يحمل كتاباً او يميل لكتاب.. غاية الامر، وسواء قالها كويته أو كولتير، فانا ايضا اؤمن ايماناً أكيداً بان الحنين الحقيقي دائما ما يكون منتجاً ويؤدي الى ابداع اشياء جديدة وافضل. فلو كان مجرد استعادة الماضي، سواء بشكل كتب، اشخاص، احداث.. سيكون عندئذ عملي عبثاً وغير ذي جدوى. سيكون بارداً وميتاً، كما قد يبدو الآن. هو عندئذ قائمة عنوانات تُعطى آخر الكتاب. قد تبدو هذه لبعض الارواح الرقيقة المفتاح الذي يفتحون به ليلتقوا باللحظات الحيّة، بالمتعة والبهجة التي خلفوهما في الماضي..

– ٢ –

واحد من اسباب كراهتي لكتابة المقدمات هو انها دائما ثقيلة على القارئ، وأحد اسباب

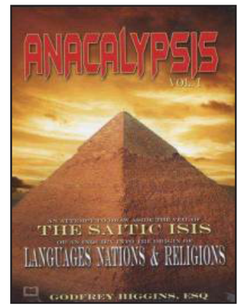

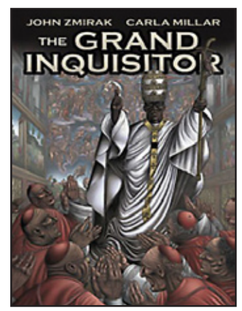

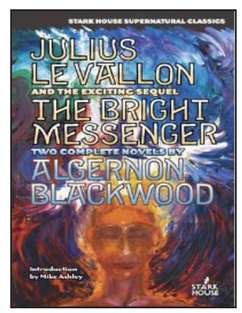

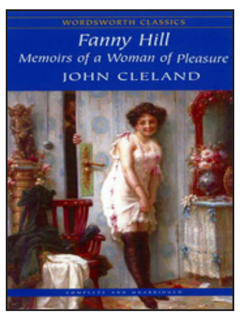

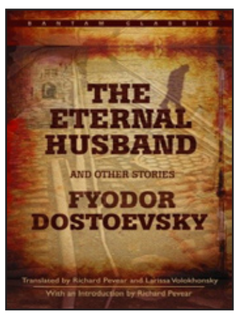

تكون الكتب بعضاً من الحياة كما هي الأشجار والنجوم أو الروث! ليس لي خلاف مع الكتب لذاتها كما اني لا أضع المؤلفين في أي مرتبة أخرى متميزة، هم مثل بقية البشر، لا أفضل ولا أسوأ. أنهم يستثمرون القوى التي وُهبوا مثل أي نمط آخر من البشر.

وإذا دافعت عنهم الآن ومن بعد، بوصفهم طبقة– فلأنهم لم يحققوا المكانة و التقدير اللذين يستحقونهما. العظماء منهم غالبا أكباش فداء.

التي تحدث عنها هنري آدمز "حين حكمت

اعادة كتابتي لها للمرة الخامسة، وأملي ان تكون الأخيرة، هو خوفي من ان حدثاً ليس في البال يخيبني فيها بعد ان تكتمل. هذا الكتاب سيكمل وانا ماض لأكتب الثالث والاخير "الصَلَبُ الوردي" The Rosy Crucifixion وهو أصعب عمل كلفتُ به نفسي وقد تجنبته سنوات عديدة. لذلك أود، مادام الوقت يسمح بان اعطي لمحة عن بعض ما خططتُ له او أمّلتُ بالكتابة عنه في المؤلفات القادمة.

طبعاً كانت في ذهني خطة مُرنة حين بدأت هذا العمل، وخلافاً للبنّاء، يقدّم المؤلف تصاميمَهُ في تصاعد عمله. الكتاب بالنسبة للكاتب شيء يعيشُ خلاله، هو تجربة وليس خطة عمل تُنفّذ حسب القوانين والمواصفات. على أية حال، بقي ظل من خطتي الاصل وقد نما رقيقاً ومعقداً مثل بيت العنكبوت. فقط حين اقتربت من نهاية الكتاب، أدركت كم كنت أرغب في القول، ولم كان عليَّ ان اقول، عن مؤلفين معينين، موضوعات معينة لامست بعضها، وبعض النظر عن كم مرة ذكرتهم، فأنا لم أقل أبداً، وربما لن اقول، كل الذي اردت قوله عن "إلي فور" Elie Faur ولا أنا اشبعت موضوع بليس سندراس Blaise Cendras، احد العمالقة المعاصرين الذي لم أبدأ حتى في الاقتراب منه. بالنسبة الى رايدر هاجارد Rider Haggard، فسيكون لدّي الكثير لأقوله عنه، بخاصة عن عمله Ayesha هو تكملة "هي" She.. وحين يصل الكلام الى أمرسون، دوستويفسكي، مترلنك، كونت هانسم، ج. أ. هنري، فأنا اعلم باني لن اقول كلمتي الاخيرة عنهم. عمل مثل "المحقق الكبير" The Grand Inquisitor، أو "الزوج الابدي" The Eternal Husband عمل دوستويفسكي المفضل عندي. ربما حين جئت لبدرائيف ولذلك القطيع المشرد من الكتاب الروس في القرن التاسع عشر، اولئك الرجال ذوي النزعة الاخروية فسأظل ادور لاقول عنهم شيئاً بقيت اريد قوله منذ عشرين سنة أو اكثر. ثم هنالك المركيز "دي ساد" احد اكثر المُفترى عليهم في الادب كله والمُساءُ فهمهم بقصد وبغير قصد. هو وقت لأحبُهُ! وانا عائد منه وقد غطته الظلال، يقف شخصُ "جيلي دي رايس"، Gills De Rais، "تبمبوكتو بلا قناع" تبدو في رأيي اعظم مغامرة في أزمنتنا الحديثة. وكذا نوسترا دامس، جنكولارفن، باول برنتون بيجي و عمل اوسينسكي "بحثا عن المعجزات" ورسائل من مهاتما" وكتاب فيخنر Fechner "الحياة بعد الموت" و "روايات ميتافيزيقية" لكلود هوفتون و "اعداء الوعد" Enemies of Promise وهو كتاب آخر عن الكتب و لغة الليل، كما اسماها يوجن جولاس وكتاب دونالدكيهو عن "الاطباق الطائرة" و "الملذات وكشف النفس بوساطة الارواح" و "الهمية الهواء" و "القيامة وصعود المسيح". وبين اشياء اخرى كتاب اخير لكارلو سواريز، نفسه الذي كتب عن كريشنا مورتي تحت عنوان اسطورة جودیو شرتين، وسوف، لم لا، كما اعتاد بيكاسو ان يقول، أسهمُ في موضوع الادب الفاحش والادب المكشوف. والحقيقة اني كتبت بضع صفحات عن هذا الموضوع ساحتفظ بها للمجلد الثاني. في هذه الاثناء ارانى بحاجة جدا الى بيانات معتمدة. اود ان اعرف، مثلا، ما هي كتب الادب المكشوف الطفيمة في هذا الزمان كله؟ (اعرف ولكن القليل جداً منها). ومن هم الكتاب الذين ما يزالون يُعْتَبرون "فاحشين"؟ كم سعة انتشار كتبهم واين تنتشر اكثر وفي أي اللغات؟ استطيع تذكر ثلاثة كتاب فقط ما نزال كتبهم ممنوعة في انكلترا وامريكا، بعض من كتبهم لا كلها. واعني المركيز دي ساد اكثر كتبه اثارة ما يزال ممنوعا في فرنسا.

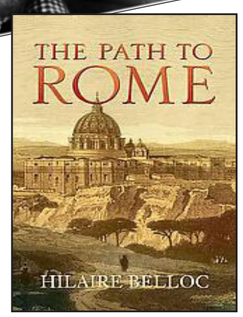

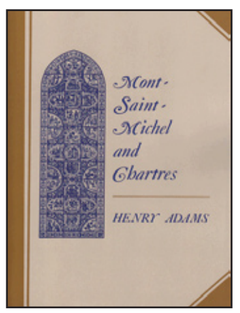

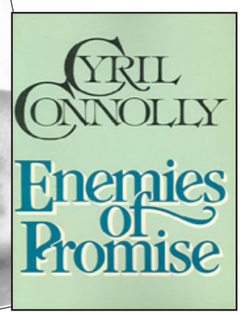

وارتينو Aretino و د. هـ. لورنس. ماذا عن "رستيف" لـ بروتون الذي اعتبره امريكياً؟ وجي ريفزجايلد الذي كدس مجلدات هائلة من "بيانات المحاكم" وماذا عن اول رواية اباحية في اللغة الانجليزية "مذكرات فاني هل" Memoire of Fanny Hill لماذا ان كانت قاتمة لم تصبح في وقتنا كلاسيكية؟ انها ماتزال تُحرَر وتُباع في مخازن المخدرات ومحطات القطار والاماكن البذيئة الاخرى. ليس غير مائتي سنة منذ صدورها، لم تنقح طبعاتها كما يعرف ذلك جيدا كل سائح امريكي في باريس.

ومع ذلك وبالنسبة الى كتب اخرى، فانا اعلم باني ان اقرأ كتاب "الجرنون بلاك وود" مؤلف "الرسول المشرق" The Bright Messenger وهي في رأيي اكثر الروايات غرابة في التحليل النفسي. و "الطريق الى روما" The Path to Rome لـ هيلاير بيلوك، حب حقيقي مبكر دائما اعيد قراءة صفحاته الاولى. الثناء على هذا الكتاب، أقرؤه وارقص فرحاً. ماري كوريل، معاصرة رايدر هاجارد، بيتس، تنيسول، اوسكار وايلد كوريل قالت في رسالة الى راعي كنيسة في ستراتفورد اون افون: "مع تقديري للكتاب المقدس لا اظن ان هناك امرأة قرأته بعمق وورع." وبالتأكيد سأكتب عن رينيه كايل Rene Caile اول رجل ابيض يدخل تيمبوكتو ويخرج حياً في مالي/ النيجر (التي كانت في طريق القوافل وسوقاً للعبيد

كتبه اثارة ما يزال ممنوعا

في القرن ١١ ومركزاً للدراسات الاسلامية في القرن ١٤ احتلها الفرنسيون في القرن ١٨– المترجم).

قصته كما رواها جلبرت ويلش في مغامرة في أزمنتنا الحديثة. وكذا نوسترا دامس، جنكولارفن، باول برنتون بيجي و عمل اوسينسكي "بحثا عن المعجزات" ورسائل من مهاتما" وكتاب فيخنر Fechner "الحياة بعد الموت" و "روايات ميتافيزيقية" لكلود هوفتون و "اعداء الوعد" Enemies of Promise وهو كتاب آخر عن الكتب و لغة الليل، كما اسماها يوجن جولاس وكتاب دونالدكيهو عن "الاطباق الطائرة" و "الملذات وكشف النفس بوساطة الارواح" و "الهمية الهواء" و "القيامة وصعود المسيح". وبين اشياء اخرى كتاب اخير لكارلو سواريز، نفسه الذي كتب عن كريشنا مورتي تحت عنوان اسطورة جوديو شرتين، وسوف، لم لا، كما اعتاد بيكاسو ان يقول، أسهمُ في موضوع الادب الفاحش والادب المكشوف. والحقيقة اني كتبت بضع صفحات عن هذا الموضوع ساحتفظ بها للمجلد الثاني. في هذه الاثناء ارانى بحاجة جدا الى بيانات معتمدة. اود ان اعرف، مثلا، ما هي كتب الادب المكشوف الطفيمة في هذا الزمان كله؟ (اعرف ولكن القليل جداً منها). ومن هم الكتاب الذين ما يزالون يُعْتَبرون "فاحشين"؟ كم سعة انتشار كتبهم واين تنتشر اكثر وفي أي اللغات؟ استطيع تذكر ثلاثة كتاب فقط ما نزال كتبهم ممنوعة في انكلترا وامريكا، بعض من كتبهم لا كلها. واعني المركيز دي ساد اكثر

في فرنسا.

وارتينو Aretino و د. هـ. لورنس. ماذا عن "رستيف" لـ بروتون الذي اعتبره امريكياً؟ وجي ريفزجايلد الذي كدس مجلدات هائلة من "بيانات المحاكم" وماذا عن اول رواية اباحية في اللغة الانجليزية "مذكرات فاني هل" Memoire of Fanny Hill لماذا ان كانت قاتمة لم تصبح في وقتنا كلاسيكية؟ انها ماتزال تُحرَر وتُباع في مخازن المخدرات ومحطات القطار والاماكن البذيئة الاخرى. ليس غير مائتي سنة منذ صدورها، لم تنقح طبعاتها

كما يعرف ذلك جيدا كل سائح امريكي في باريس.

متطلّع، ولكني من كل الكتب التي ابحث عنها وانا في غمرة هذا الكتاب، هنالك اثنان لا اريد ان اغفلهما.

The Thirteen Crucified Soviours "المخلصون، المصلوبون الثلاثة عشر" للسير جوفري هجنز مؤلف Anacalypsis ومفاتيح سفر الرؤيا Clefs De Apocalypse للشاعر البولندي او. في. ميلوش الذي مات قبل سنوات في فونتانيو. لم اتسلم بعد كتاباً جيداً عن "صليبيات الاطفال".

هناك ثلاث مجلات سأذكرها في الحديث عن المجلات الجيدة: جودند Judend العدو The Enemy التي يحررها الروح اللامع ويندام لويس و"القناع" The Mask لجوردون كريج Gorden Craig –. كانت لي زيارة الى بيج سور Big Sur، فالتقيت لورنس كلارك باول هذه الشخصية التي تعرف عن الكتب ما لايعرفه أي شخص آخر.

ما التقيت به من قبل. في هذا اللقاء اقترح ان أؤلف له (ان لم يكن لشخص آخر) كتاباً صغيراً عن تجربتي مع الكتب. بعد اشهر، نمتْ هذه البذره. وبعد كتابتي حوالي خمسين صفحة ادركت انني لا استطيع تضمين الكتابة محتوى رصيناً لهذا الموضوع. باول عرف ذلك بلا شك وأحتفظ بما عرف لنفسه. انا مدين الى باول كثيرا بشيء واحد، وهو شيء كبير بالنسبة لي، لانه كان يتقصد تصويب التظاهر او الموقف الزائف. انا مدين له بقدرتي الحالية لأظهرَ كم هم انسانيون موظفو المكتبات. هم كائنات انسانية ذوو حياة وخصب وقادرون على استحضار القوى الدنيامية في عقولنا. ما هو اكيد لي الآ مسؤول مكتبة يمكن ان يكون اكثر حماسة منه في جعل الكتب بعضا حيّا من حياتنا. لكن لا توجد هكذا كتب، في الوقت الحاضر...

– ٣ –

كما اني لم الثق بمكتبيّ، اعطاني مساعدة مباشرة وعظيمة اكثر من لورنس كلارك باول. فما سألته سؤالاً إلا وأجاب. لا سؤال له من دون جواب كامل وتفصيلي عنه. وما ردّ لي يوما رجاءً أو طلباً– فإذا فشل هذا الكتاب واخفقت فيه، فليس ذلك خطأه...

هنا يجب أن أضيف بضع كلمات عن افراد قدموا العون بطريقة أو بأخرى. الاول والاكثر "دانتي زاكاجونيني" من بورت جستر، في نيويورك. أنت يا دانتي، الذي لم التق به يوما، كيف اعبرّ لك عن امتناني العميق لكل الاعمال الشاقة التي انجزتها وبرغبة محض منك بالنيابة عني! أخجل حين افكر كم كانت بعض الاعمال ثقيلة. فضلاً عن ذلك كنت تصرّ على تقديم الهدايا، من كتبك الثمينة– فقد كنت تظن بانني في حاجة إليها أكثر منك! واية مقترحات مفيدة قدّمت واية تصويبات دقيقة. الكلمات تخذلني...

يجب ان يُفْهَم اني حين بدأت هذه المهمة، شعرت ان عليّ استعارة او امتلاك بضع مئات من الكتب. ولأني لا املك نقوداً فقد أعددت قائمة بعناوناتها ووزعتها على اصدقائي ومعارفي و بين قرّائي. الرجال والنساء الذين ذكرت اسماءهم بدء هذا الكتاب أمدّوني

◄

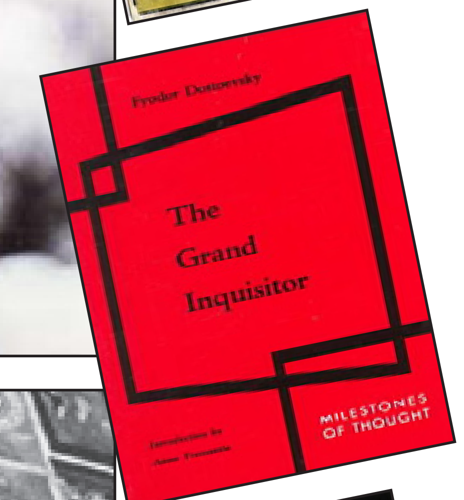

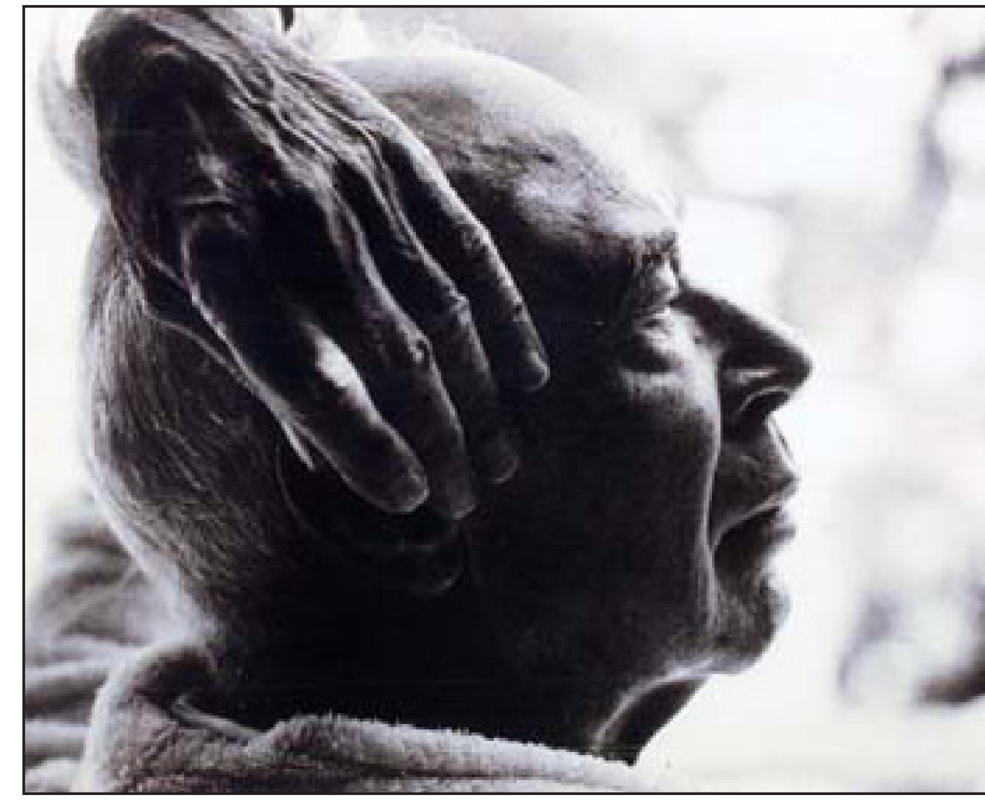

با حتيا جا تـي .
العديد من اولاء كانوا قرّاءً بسطاء تعرفت عليهم من خلال مراسلتهم.
"الاصدقاء" الذين كان الأمل بانهم الاكثر استجابة لتقديم الكتب التي انا شديد الاحتياج لها، اخفقوا في ان يكونوا مع هؤلاء.. تجربة مثل هذه دائماً ما تكون مضيئة. الاصدقاء المخيّبون دائماً يُعَوَّضون بآخرين جدد يحضرون في ساعة الحرج ومن جهات غير مُتَوَقَّعَة.. واحدة من مكافآت المؤلف على جهودٍ هي اكتسابه القاريءَ صديقاً شخصياً. واحدى المباهج التي يلتذّ بها هي ان يتلقّى هدية يريدها تأتيه من قاريء مجهول. كل كاتب، كما أرى، له مئات وربما آلاف مثل هؤلاء الاصدقاء المجهولين من قرائه. لاشك بان هناك مؤلفين حاجتهم قليلة لقرائهم الا كونهم مشترين لكتبهم. حالتي مختلفة. انا بحاجة لكل واحدة. أنا مُستعير ومُعير. أستفيد من أيٍّ ومن كل الذين يقدمون عونهم. أخجل من ألاّ اتقبل عروضهم. آخرها كان من تلميذ في "ييل" هو دونالد أ. فقد كتبت الى البروفيسور هنري بيير في القسم الفرنسي رسالة أبديت فيها حاجتي لعون في نَسْخ عمل. دونالد الشاب قرأ رسالتي وفي الحالَ عرض خدماته (تحية لك باشكون!).
تبعه الظهور المفاجيء لـ "جون كيديس من سكرامتنو" فقد وصلني طلب صورة موقعة مني. هذه الصورة قادت الى تبادل قصير للرسائل تبعتها زيارة ثم انهيال الهدايا. جون كيديس (في الاصل مستا كيديس) يوناني، مما يفسّر الكثير لكن لايفسّر كل شيء. لا ادري ان كان احد آخر مثله، يأتي وملء ذراعيه كتب (بعضها صعبُ العثور عليه) ويكوّمها على مكتبي، ثم السيل الذي لا ينقطع من هداياه: ملابس داخليه، جوارب من صوف خالص ونايلون حاكتها أمه، سراويل، قبّعات وأشياء اخرى من الثياب يختارها من هنا وهناك، ومعجنّات يونانية (اية حلوى لذيذة!) هيّأتها جدّته أو عمته، صفائح من الـ Halva (لحم مع السمسم والعسل تركي)، – المترجم)، اكواب كبيرة من الـ Rezina، لعب للاطفال، مواد كتابة (ورق وظروف رسائل مختلفة الحجوم، بطاقات بريدية مطبوع عليها اسمي وعنواني، ورق كاربون، اقلام رصاص، نشافات حبر، مذكرات تبليغ، اعلانات، مناشف تعميد (والده قس)، بندق من اصناف مختلفة، تين طازج، برتقال، تفاح وحتى رمان (كلها من مزرعة الدين). ولا أقول شيئا عن الطباعة التي قام بها من أجلي، طباعته لكتابي "مياه متألقّة"، الالوان المائية التي اشتراها والاصباغ التي امدّني بها، قيامه برحلات لايصال مواد اريد ايصالها، الكتب التي باعها لي (ورميه لسلعٍ قديمة من بيته ليختزن اشياء فائضة لي، وليجعل بيته بيت هنري ميللر). والاطارات التي اشتراها لي، الموسيقى التي قصد الى شرائها (تسجيلات، نوتات، ألبومات) وهكذا ما لانهاية له. كيف يقابل الانسان كرماً كهذا؟ كيف يردّه؟
هكذا مضت الامور دونما كلام. سُأقابل بالترحاب ما يبديه قراء هذا الكتاب من خطأ، سهو، تفلسف، أو سوء حكم. أنا على بيّنة تماماً ان كتابي، لانه عن الكتب، سيصل الى الكثيرين ممن لم يقرؤني من قبل. آمل بانهم سينشرون الكَلِمَ الطيب لا عن هذا الكتاب ولكن عن الكتبَ التي أحبوها.
عالمنا ينحسر وعالم آخر جديد يتكشف، فان اردنا ازدهار الآتي، فلنستقر على افعالٍ وعلى ايمان. فالكلمة ستحول جسداً.
بيننا القليلون اليوم لهم القدرة على رؤية المستقبل القريب من غير خوف ومن دون توقع السوء. فإن كان في أي من الكتب التي قرأتها أخيراً ما استطيع القول انه يحتوي على كلمات راحة، سلام، وحياة، وسمو، فهو كتاب هنري آدام Mont Saint Micvhel و Chatters، بخاصة تلك الفصول التي تتحدث عن مريم العذراء. كل مرجع عن "الملكة" يمجّدها ويُعليها، دعني استشهد بقطعة من ص ١٩٤ والتي جاءت متكاملة ضمن المتن:

"هناك هي، حقيقة – لا أرض ولا خيال، ولكن شخص – تنحدر مرتحلة" لتوصل الرحمة ولتصلي لكل واحد منا، كما هي تؤكد معجزاتها. بحضورها ترُتَضى صلواتنا. ذلك الحضور الذي يهديءَ انفعالاتنا مثلما أمّ تمنح طفلها الهدوء. هي هناك مثل مَلَكة، لا رقيب حسب، وقوتُها تبعد الاختلاف بيننا، نحن الكائنات الارضية. بيير موكليه وفليب هوريل ورجالهما المسلحون يخشونها،
والمطران نفسه لا تهدأ له حال بحضورها ولكن لايخشاها الفلاحون والشحاذ ولا الذين في محنة..."

هذا الاحساس بقوتها والسكينة بحضورها خير من الاشفاق الحي. الناس الذين يعانون ولا يتمكنون من التعبير واشكالاته، والمسحوقون صمتاً وراء آلامهم- لا يحتاجون الى عواطف ولا نزق قلب ولا بكاء تحت الصليب ولا هيامات ولا تعابير! هم يريدون ان يروا الله ويطمئنوا انه يراقب ناسه.
هنالك كتّاب من امثال هذا الرجل، يُغنوننا في كل زمان، آخرون يُفقِروننا. مهما يكن يظل في كل الازمنة شيءٍ يسري وفي كل وقت، سواء كنا نُثرَى أو نُفْقِر. فنحن الذين نكتب، نحن المؤلفين، نحن رجال الأدب، نحن المُخربشين، يسْندنا، يحمينا، يُعيلنا، يغنينا ويمنحنا حشدٌ من أفراد مجهولين – رجال ونساء يراقبون ويصلونً، هذا ما يُقال، لكي نستطيع كشف الحقيقة التي في دواخلنا. كم واسعٌ هذا الكم؟ لا احد يعرف. ولا فنان واحد وصل الى كل المدى النابض للانسانية. نحن نسبح في النهر، نشرب من النبع، فكم مرة نشرب لنرتوي وكم عميقة هي معرفتنا نحن الذين نكتب عن الحاجة المشتركة؟ أن نؤلف كتُباً يعني ان نختزن ما نأخذه من خزين الحياه، من الاخوات والاخوان والمجهولين، فلنمتلك اذن المزيد المزيد من الكتب!"
في المجلد الثاني من هذا العمل، سأكتب، بين اشياء اخرى، عن الاباحية والفسق، عن كتاب جيلي دي رايس وهاجارد. Ayesha، Marie Corell.
وكتاب دوستويفسكي "المحقق الكبير" Grand Inquisitor وكتاب سيلاتي ومترلنك وبرادئيف وكلود هوتون ومالابارت. قائمة المراجع لكل المؤلفين وكتبهم التي وردت في كتبي السابقة، ستكون حاضرة في المجلد الثاني.

كاظم حسوني

هنري ميلر.. قصة حياة في كتب..

تمثل كتب هنري ميلر ورواياته سيرته الشخصية اذ تناول حياته وسجلها في جميع أعماله خاصة في (مدار السرطان) و(مدار الجدي) (عملاق ماروسي) و(ربيع أسود) وبقية كتبه، وكان محقا عندما أبدى اعتراضه أول مرة لكاتب سيرته وصديقه (برادلي سمث) حينما اقترح عليه عزمه القيام بكتابة سيرته، لأن حياته يجدها في كتبه، ولما قبل العرض أخيرا على مضض، أوضح (اني كتبت قصة حياتي في كتبي، أكثر من أي كاتب آخر)، واشار كاتب سيرته (برادلي سمث) أمضينا مدة ثمانية عشر شهرا، تحدثنا عن حياة هنري، الأيام الاولى كانت في (بيغ سور) و(باريس) و(نيويورك)، وكانت حواراتنا تتضمن أسئلة وأجوبة عن الكتابة والرسم والحياة والموت، ويمضي برادلي في القول: ان هنري ميلر، كان أحيانا يبدي اعتراضه مجددا على محاولتي للكتابة عنه، قائلا: أنه ليذهلني محاولة الوصول الى اعداد كامل ونهائي لحياة المرء، أمر غير ممكن أبدا، سواء بواسطة الكلام أم الكتابة أم الصور أم التحليل، كلها محاولات لا تستطيع أية طريقة أو الطرق كلها مجتمعة، ان تلم به، اي بالسر المراوغ الكامن في حياة كل شخص، ثم يعلق حين انزلقت السنة غدوت أعرف هنري معرفة أفضل، اذ تنامى لدي حنان واحترام عميقان له، لذا جاء كتاب (برادلي سمث) كاتب سيرة هنري ميلر وصديقه، مشتملا على سبعة أبواب وهي (الكتاب، بيغ سور، الرسم، باريس، الطفولة، تاريخ زمني)، ومما يجدر قوله ان ميلر أحد الذين احترفوا الكتابة في زمن متأخر نسبيا، وكان قد عانى الكثير قبل ذلك من شظف العيش، حيث بقي لفترات في فقر مدقع (انني جربت كل شيء وأخفقت، اذن، فلأجرب الكتابة، الحق أنني كنت خائفا من ان أغدو كاتبا، لم أكن أظن ان لدي القدرة، كانت الكتابة، أمرا كبيرا من أكون أنا حتى أقول (أنا كاتب)؟، وأعني كاتبا مثل دوستويفسكي وجيمس ولورنس ومن اليهم)، ولعل حياته الصاخبة التي أغنتها التجارب المتنوعة، والانعطافات الحادة، التشرد، والزواج لعدة مرات، واتخاذ العشيقات، ثم التنقل الدائم عبر المدن الكبرى لبلدان أوروبا، تقلّب خلالها في ممارسة شتى الاعمال والمهن، وعمل كل الاعمال الوضعية لأعوام عدة، ما دفعه بعد ذلك لأن يصف كل ما لقيه، وما عاشه كشفه بجرأة فضائحية، هدفت الى إدانة الفساد وانهيار قيم المجتمع الأمريكي، ناشرا فضائحه، معريا اياه، كما في رواياته، (ربيع أسود)، و(مدار السرطان) و(مدار الجدي)، وكان هذا مدعاة لمنع كتبه في نيويورك، وباقي الولايات المتحدة لمدة طويلة، حتى دعي (بالكاتب الفضائحي)، والمشاكس غير الاعتيادي، والقائمة طويلة بكلماته الفاحشة، ولعله بذلك كان يحذو من سبقه من كتاب الغرب الذين نبذهم المجتمع، أمثال بودلير وادغار الن بو، واسكار وايلد، وفيرلين، وغيرهم، هذا ما يؤكده (برادلي سمث) مشيرا الى ان (بو) كان سيء السمعة الى حد كبير، وبودلير كانت سمعته أكثر سوءاً، ثم (بليك) و(نيتشه) ومجنون مثل (سترندبرغ)، أي تمرد؟ أي عقاب للمجتمع هؤلاء الأشخاص كشفوا انهيار العالم الحديث، لقد تنبأوا، ورأوا ما يحصل للعلم والانسان، وبلغوا صلب معضلاته، ثم ينتقل (برادلي) ليحدثنا في فصل آخر عن صداقات ميلر المتعددة، وعلاقاته الحميمة والممتعة مع الألوان المائية، حيث عرضت لوحاته وانتشرت في العديد من مدن أوروبا، وكان للرسم شأن لا يقل أهمية عن الكتابة، أما صداقته للمرأة فيقول: (انها تضفي شيئا على الجو، تجعل الحياة أكثر جمالا، وأفضل دوما، ان تكون النساء حولي، لا الرجال) ليأتي بعد ذلك اهتمامه وولعه بالسينما، والكتب، أنه مدمن فيلم، ومدمن كتاب، لكنهما ليسا سواء في التأثير، فالفيلم لا يظل معك، كما يظل الكتاب، الكتاب لحم حقيقي وجوهر، وأنت تعيش معه وتغتذى به، أما الفيلم ان كان جيدا فيمنحك لحظات مدهشة، مثلما عرف عنه شغفه بالسفر والتنقل، اذ طاف أوروبا لأكثر من مرة، وتشرد في شوارعها لأيام، كان يمضي لياليه في الأماكن العامة، الا ان ثمة مكانا واحدا استأثر به لنفسه وارتبط به بقوة، اتخذه كفردوس ليمكث فيه ردحا من الزمن، دام سبعة عشر عاما أنه (بيغ سور) ففي هذه المدينة الصغيرة، تزوج مجددا من (حانيتا مارثا) التي أنجبت له (توني وفال) وماذا كانت (بيغ سور)؟ جبالا وسماء وبحرا وأناسا قليلين كانت عزلتها رائعة لي، كان لنا بستان، ونحصل على الرخويات والسمك من البحر، وبعد ان تركتني زوجتي، بقي الطفلان معي، اعتدت ان استيقظ ليلا لأطعمهما، والأكثر من ذلك انني كنت أغير حضائنهما، وكان علي ان آخذ الحضائن في حقيبة، حقيبة غسيل كبيرة، وأمشي ستة أميال لأبلغ الينابيع الساخنة، وأغسلها في الماء، ثم أعود بها الى البيت، ستة أميال، في (بيغ سور) هدوء لا يوصف، ويواصل ميلر (كنت أنام مبكرا فلا تلفاز ولا مذياع، وأكون في الفراش مبكرا، واستيقظ مبكرا، وأرى الشمس تطلع، وبعد الفطور أذهب مباشرة للعمل، وأظل أكتب حتى الظهر، ثم ما بعد الظهر، ان وجدت لدي قوة أخذت أرسم، وفي هذا كله، كنت، أجد وقتا لألعب مع الطفلين، واصطحبهما معي الى التلال والغابات) ثم يعود برادلي كاتب السيرة، ليضيف شيئا مهما عن ميلر الرسام، مبينا حبه العظيم والمبكر للفن، اذ كان يقضي أوقاتا طويلة يتفحص الكتب الفنية، يدرس اللوحات والتخطيطات، يناقش الأساليب والتقنيات، والفترات، وعن هذه البدايات يقول: كانت تسليتي الوحيدة الحصول على ورق أرسم عليه، أي نوع من الورق، ورق التغليف، وورق الجزار، كانت فترة شاقة، لكني بالرغم من ذلك لم أفعل شيئا، أحسست بأنني لا أملك موهبة التخطيط أو الرسم، الا ان التغيير حدث فجأة بعد مدة، حين كنت أتأمل أحد البومات (جورج جروز) بالألوان المائية، كانت على الغلاف صورة رجل استنسخت صورة الرجل وكان استنساخي جيدا، قلت لأخطط وأرسمن، وهكذا بدأت وباتت كل صورة عندي بمنزلة مغامرة جديدة، كما هو شأني في الكتابة، انني لا أجهز أي شيء في ذهني قبل العمل مطلقا!، وكان لا يطيق تلقي دروس الفن او تعلمها من الجامعة، يضيف (برادلي) فميلر متمرد، وقف حتى في شيخوخته ضد التعلم في المدارس، ومن قبل كان قد هجر الدراسة في احدى جامعات نيويورك، بعد أربعة اشهر، معترضا على المناهج الدراسية، ولم يعد بعد ذلك (أؤمن بأن كل المدارس فخرية، أنها تقتل التطلع والرغبة في التعلم، الفنانون كلهم قتلتهم المدرسة! وحالما يخرج الأطفال من الروضة يبدأ غسل الدماغ، حين تكون خارج المدرسة تتعرف على حاجاتك بنفسك، الذهاب اليها يعطي وهما بأن المعرفة تصنع فنانا)، ثم ينتقل مؤلف السيرة موضحا ما لباريس من مكانة مهمة في حياة (هنري ميلر)، اذ ارتبطت هذه المدينة الكبيرة بتكوينه، وكان قد وصف كل ذلك في رواياته (رويت كل شيء في (مدار السرطان) عن طبيعة حياتي بباريس، وأماكن سكناي، عشت من شارع الى شارع، من فندق الى فندق، من استوديو الى آخر، لم يكن عندي عنوان محدد، باريس هي المدينة التي منحتني الشعور بالحرية العظمى) وعلى مدى صفحات الكتاب، يسجل برادلي الكثير عن (ميلر) بعد ان ظل ملازما له لسنة ونصف السنة تنقل خلالها معه الى عدة مدن، وأماكن، ويروي (برادلي) لقد وجدت بعد ان أمضينا قليلا من العمل أننا متآلفان، وان أحاديثنا كانت مثل استكشافات مستمرة في حقيقة الماضي، وكم ممتعة كانت ساعات الحديث الذي يسجل على الشريط بينما كان هنري يروي قصة حياته..

http://www.almadapaper.net - E-mail: almada@almadapaper.net

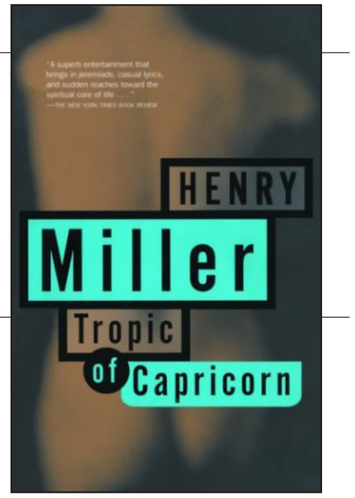

ما الذي يخرج به قارئ كتاب (مدار الجدي / هنري ميلر / ترجمة أسامة منزلجي / دار المدى ٢٠٠٩)؟. ما القيمة المعرفية والجمالية التي يمكن استخلاصها من قراءتنا لمثل هذا الكتاب؟. في البدء، هذا كتاب تتلبس فيه السيرة الذاتية السرد الروائي إلى الحد الذي يكون من الصعب معه الفصل بينهما، أي أنه عمل تخييل لكن من وحي تجربة حقيقية في الحياة. وهي تجربة ساخبة، حارّة، حيّة، فاضحة، وحسيّة إلى درجة مهولة. ولا شك أن كتاباً كهذا سيُصيب القارئ المسكون بالتابوهات والمخاوف بصدمة وهلع.. إنه نتاج عقل متحرر بالفطرة، أي أنك لن تشعر بأن ثمة تكلفاً وادعاء فارغاً يقف وراء تأليفه. وهو كتاب ساخر، سخريته تلقائية، متأتية من التصوير الواقعي المفرط لعالم مختل في علاقاته، غير عادل، وتعمّه الفوضى. وأعتقد أن هنري ميللر هو الأب الروحي لتلك المدرسة الروائية الأمريكية المعروفة باسم الواقعية القذرة، والتي من أقطابها المحدثين كاتب بقامة بول أوستر.

سعد محمد رحيم

"مدار الجدي": نزوات حرة في عالم مختل

يسترسل الراوي (هنري ميللر، وهو الكاتب بطبيعة الحال) في الاعتراف من غير أن يأبه لردود الأفعال. إن كل ما حوله يحوّله إلى متعة.. هذه الأبيقورية الصارخة تفضي به إلى رفض الأخلاقية البرجوازية السائدة، القائمة على الزيف والنفاق. وهو يفصح عن عداء مكشوف، لا هوادة فيه، لبلده أمريكا: "لقد جبت شوارع الكثير من بلدان العالم لكنني لم أشعر في أي منها بأني منحط ومذل كما أشعر وأنا في أميركا". ولذا فهو لا يرغب قط بالتصالح، ناهيك عن الاستسلام؛ "لقد أردت أن أشهد دمار أميركا، أردت أن أشهد ذلك لمجرد الانتقام، تكفيراً عن الجرائم التي ارتكبت في حقي وفي حق أمثالي ممن لم يستطيعوا أبداً أن يرفعوا أصواتهم ويعبّروا عن كراهيتهم، وتمردهم، وتعطشهم الشرعي إلى سفك الدماء".

وفي الصفحات التالية لن يفوّت فرصة إلاّ ويعبّر عن سخطه من أميركا وكراهيته لها. وستكون المؤسسة التي يعمل فيها، ويشبّهها بالمسلخ، مطلقاً عليها اسم (شركة البرق الشيطانية الكونية لشمال أميركا) موضع السخرية، يصب جام غضبه عليها، وينعتها بأشد النعوت بذاءة وقسوة. واصفاً إياها هكذا: "كان النظام كله عفناً، ولا إنسانياً، وقذراً، وفاسداً فساداً لا رجاء فيه ومعقّداً بحيث أن الأمر كان يتطلب عبقرياً ليضفي أي حس أو نظام عليه، ناهيك عن الرقة والتعاطف الإنسانيين". وإذ يحظى بمنصب جيد فيها، يكون مسؤولاً خلاله عن توظيف السعاة والكتبة وطردهم فإنه سيتمادى في إشاعة الفوضى داخل الشركة بدل إيجاد صيغة للنظام. وسيقابل أنماطاً مختلفة من البشر، من الرجال والنساء، وهذا ما سيعمّق معرفته بطبيعة الجنس البشري، ومن ثم كيفية التعامل مع الآخرين، لا بتهذيب، بل بوقاحة أحياناً، وبتهكم في أكثر الأحايين.

قادته هذه الحياة البوهيمية، المنفلتة واللاقتة، إلى أن يكون خبيراً بشؤون الحياة، لا يتجرح من النظر إلى أشد زواياها قبحاً وفساداً وتهرؤاً. وهذه وصفة جيدة كما أظن تهيئ فرصة ليكون المرء إما ثورياً يحلم بتغيير العالم، أو كاتباً ينقل للآخرين تفاصيل تجاربه في الحياة، أو كليهما معاً. وقد كان ميللر كاتباً بحق، وربما ثورياً أيضاً من وجهة نظر معينة. كان يمكن أن يكون مهرّجاً، وقد رأى في دور المهرّج على المسرح مجالاً حراً للتعبير عن الذات، ومدّ اللسان في وجه العالم. غير أن الكتب هي التي سحرته قبل وبعد أي شيء آخر؛ "لعل الكتب التي قرأتها قد أفسدتني وأنا لا أزال برعماً". كان يمضغ الكتاب حباً كما يؤكد. يجعله يُدمج في لحمه ودمه فتتخلق عنده روح جديدة، ويُعاد تشكيل العالم أمام ناظريه. وبدأ يشعر بأنه مخلوق كي يكون كاتباً. ومثل أي أحد فإن محاولاته الأولى في الكتابة كانت إخفاقاً مريعاً. ولم يفتقر إلى الإيمان بنفسه، وهو الذي سيساعده في المضي قدماً ليجعل الآخرين، في النهاية، يؤمنون به؛ "إن على المرء أن يكتب ويكتب ويكتب، حتى وإن كان كل من على الأرض ينصحونك بعكس ذلك، حتى وإن لم يؤمن بك أحد".

ومثلما يعترف فإن أهم حدث في حياته، وحتى أهم من قصة حبه الأولى، هو حين اكتشف ديستويفسكي، فإذ ذاك تغيّرت في ذهنه صورة العالم؛ "لم أعد أعرف إن كانت الساعة قد توقفت لحظة، هذا ما أعرفه، كانت تلك أول نظرة ألقيها على روح إنسان، أم هل أقول ببساطة إن ديستويفسكي كان أول من كشف عن نفسه لي؟ ربما كنت شاذاً قليلاً قبل ذلك، دون أن أعلم، ولكن منذ اللحظة التي انغمست فيها داخل ديستويفسكي صرت شاذاً بشكل مطلق، نهائي، راضٍ، وانطوى عالم اليقظة العادية، العمل اليومي، إلى الأبد". فهل كانت حياته، بعدئذ، هو أن يكون قرين ديستويفسكي، أم تراه سعى، من غير كبير نجاح، للتخلص من ربقة ذلك الشيطان العبقري الذي أراه الهول، أقصد: أعماق الطبيعة البشرية؟. فمع ديستويفسكي "شعرت بكل الكتب التي قد أكتبها يوماً وهي تتوالد داخلي". أما الاكتشاف الآخر الملهم في حياته فكان برغسون وكتابه (التطور الخلاق)، وعلاقته مع هذا الكتاب لا تكاد تشبه علاقة أي أحد مع أي كتاب؛ "لقد أضحى هذا الكتاب صديقي لأنه علمني أنه لا حاجة لي إلى الأصدقاء. منحني الشجاعة على الوقوف وحيداً، وجعلني قادراً على استحسان الوحدة. لم أفهم الكتاب أبداً. أحياناً أظن أني أوشك أن أفهم، لكن ذلك الفهم لم يحدث حقاً. لقد كان من الأهم إليّ ألاّ أفهم". وهو يعتقد أن اللغز يكمن في معنى كلمة (الخلاق) وإدراكه لها. وسيتوقف عن القراءة مكتفياً بقراءة الناس؛ "الآن أصبح الناس هم الكتب بالنسبة إليّ. أقرأهم من الغلاف إلى الغلاف ثم أضعهم جانباً؛ التهمهم واحداً إثر آخر. وكلما قرأت كتاباً ازداد نهمي".. كانت الدادائية، ومن ثم السريالية موضة الثقافة في الجانب الآخر من البحر، ولم يسمع بهما إلاّ بعد عشر سنين، لكنه، كما يبدو كان دادائياً بالفطرة وإن لم يقرأ كتاباً فرنسياً واحداً. وعرفوا أنه كاتب عظيم لكنه سيعاني طويلاً من أجل الاعتراف، من أجل أن يسمحوا لكتبه أن توزع، أخيراً، في بلاده الشاسعة المترامية الأطراف.

ليس من المنطقي التفكير بنهاية للقصة التي يحكيها في الكتاب على لسان راو ممسوس. إنها حياة مفتوحة على احتمالات شتى، قد تبدو للوهلة الأولى وكأنها عملية كفاح مضنية من أجل الفوز بالمتع الحسية، لكنها، أيضاً، ليست كذلك. وقد كان يعرف إن الخارج، أي ما يحيطه سيء للغاية، لكنه بالقدر نفسه كان حذراً من داخله، كانت محنته الوجودية مركّبة؛ "كنت حقاً أخاف من نفسي، من شهيتي، من فضولي، من مرونتي، من قدرتي على النفاذ، من لدانتي، من سماحتي، من قدرتي على التكيف".. كانت ترعبه الوحدة، وشعوره بأنه مختلف، وإنه ولد في المنزل الخاطئ، في الزمان والمكان الخاطئين. وقد سعى ليطفو مع التيار، ليتزامن لا مع قَدره، بل مع قَدر العالم. بالكتابة، وبالموسيقى التي هي في عرفه فتّاحة الروح. لكن التيار كان يجري داخله من غير أن يستطيع إزاءه فعل شيء. وضاق ذرعاً بما كتب.. كتب مليون كلمة وجدها مادة متحفية ليست إلاّ، لا تُلهب العالم، وهو الذي يحلم بأن تخرج منه فكرة ضخمة، حارقة، تقلب أشياء العالم رأساً على عقب.. يقول؛

"أثناء مروري من تحت صالة الرقص، أفكر من جديد في ذلك الكتاب، أدركت فجأة أن حياتنا قد انتهت. أدركت أن الكتاب الذي أخطط له لم يكن غير ضريح سيضمّها، مع ذاتي المسخرة لها. كان ذلك قبل بعض الوقت، ومنذ ذلك الحين وأنا أحاول تأليفه. لماذا هو شديد الصعوبة؟ لماذا؟ لأن فكرة (النهاية) أكبر مني".

مدار الجدي كتاب باهر، مسل، يتدفق بعذوبة كالماء على أرضية من المرمر، أو كالموسيقى. إنه متعدد الطبقات بحاجة إلى نباهة خاصة للوصول إلى أعماقها. وهو في متنه يمثل صورة ذات غير سويّة بالمعايير التقليدية، حرّة، متوثّبة، حالمة، متمردة، يخوض في عالم مأزوم، غير سخي بما يكفي، وغير آمن بالمرّة، وقد ألقى نفسه فيه، في الوقت غير المناسب.. كتاب من المستحيل تلخيصه، أو إعطاء فكرة وافية عنه، في بضع صفحات.

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
ديار خالد

التصحيح اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

من اصدارات

هنري ميللر
كابوس مُكيَّف الهواء
ترجمة: أسامة منزلجي
روايـــة
هنري ميللر
ربيع أســود
ترجمة: أسامة منزلجي
هنري ميللر
مـدار الجـدي
ترجمة: أسامة منزلجي
هنري ميلر
الوشيجة
(الصليب الوردي)
رواية
هنري ميللر
مدار السرطان
ترجمة أسامة منزلجي
هنري ميللر
بليكسوس
ثلاثية "الصليب الوردي"
(٢)
ترجمة أسامة منزلجي
هنري ميللر
نكسوس
ثلاثية "الصليب الوردي"
(٣)
ترجمة أسامة منزلجي
هنري ميللر
سكسوس
ثلاثية "الصليب الوردي"
(١)
ترجمة أسامة منزلجي